



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: 105 / ك.ع.أ.أ.ج / 2020

الاستشراق وأثره في الفكر العربي المعاصر

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

الأستاذ المشرف

إعداد الطالبتان:

- د/ صالح لميش

- بوسنة هاجر

- عميرات صليحة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة المسيلة	
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	د. صالح لميش
ممتحنا	جامعة المسيلة	

السنة الجامعية: 2020/2019



"يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ"

الآية: 11 - سورة المائدة -

الإهداء

لك الحمد ربي على كثير فضلك وجميل عطائك وجودك وصلى الله
على نبينا محمد.

أهدي ثمرة جهدي إلى والدي رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته
وإلى والدي الغالي حفظه الله لي ورعاه
وإلى إخوتي وأخواتي

وكل من قدم لي يد العون ولو بالكلمة الطيبة

" هاجر "

أهدي ثمرة جهدي خصوصا إلى والدينا الكريمين أطال الله عمرهما
وحفظهما لنا " العمري، حدة "

وإلى زوجي وأولادي

" صليحة "

إلى كل روح سقطت ضحية الغدر الصهيوني وإلى ضحايا الحرب
العدوانية على الإسلام في كل العالم

إلى راحة وريحان وروح الروح بلدي العزيز الجزائر

وفي الأخير نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بالكلمة
الطيبة.

شكر وعرفان

قال الله تعالى في محكم تنزيله: "وسيجزي الله الشاكرين"
وكذلك مصداقا لقوله تعالى: "ولئن شكرتم لأزيدنكم"
نشكر الله عز وجل أن أمدنا بالقوة والصبر على أن أقمنا هذه المذكرة،
ونحمده على إنعامه علينا بنور العلم الذي أنار لنا الطريق إلى درب
العلم والمعرفة في أداء هذا العمل المتواضع
بكل امتنان واحترام نشكر الأستاذ المشرف "صالح لميش" الذي ساعدنا
في إنجاز هذه المذكرة، وكان هذا دأبه طوال مشوارنا الجامعي،
فشكرا على تفانيه

كما نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد

مقدمة عامة

مقدمة عامة:

إذا كان الاستشراق قد شهد اهتماما متواصلا مع تطور الثقافة العربية عقب ما يسمى بعصر النهضة أواسط القرن التاسع عشر في المشرق العربي الإسلامي، فإن سر هذا الاهتمام يرد إلى الحاجة الملحة لمعرفة طرائق تفكير العقل الغربي بالعرب والمسلمين وبخاصة مع بدايات احتكاك عالمان بالكلونياليات الأوروبية إثر تراجع سطوة الدولة العثمانية، بيد أن البحث عن المرايا التي تعكس طرائق التناول الغربي للثقافة العربية الإسلامية، ماضيا وحاضرا، قد تحوّل إلى شيء من الحمى بعد نشر كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" وهو مؤلف نقدي يعتمد الخط الجدلي والأدوات الأكاديمية المناسبة لمباشرة آليات التفكير الغربي بالشرق. لذا استُقبل موضوع الاستشراق من قبل العقل العربي والمسلم المثقف بكثير من الاهتمام الذي طفت آثاره على السطح، وسائل الإعلام بأنواعها، زيادة على تبلورها في عدد من المؤلفات التي حاولت أن تنقد الاستشراق.

1- الإشكالية:

وبالطبع لا يمكن الإمام بجميع خطوط وألوان الصورة الغربية للحضارة العربية الإسلامية في بحث واحد، الأمر الذي يضطرنا إلى انتقاء أبرز المخطات والنصوص، والبحث في هذا الموضوع يستدعي طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن اعتبار الاستشراق عاملا مؤثرا في الفكر الغربي والعربي على حد سواء؟

2- التساؤلات الفرعية:

وللإجابة على هذه الإشكالية، وضعنا جملة من التساؤلات:

- ما هو مفهوم الاستشراق؟
- كيف تطور عبر مراحل التاريخ؟
- ما هي أهدافه ودوافعه؟
- فيما تمثلت المناهج والوسائل التي اعتمد عليها المستشرقون؟
- ثم أين يظهر أثره في الفكر العربي العام؟
- وأخيرا بما تميزت رؤية إدراود سعيد لهذا الموضوع؟

3- أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة الشخصية لدراسة الاستشراق وما له من تشويق للباحث للتعمق فيه.
- الرغبة الشخصية لدراسة الاستشراق وما أحدثه من تغيير في تاريخ العرب والغرب.
- الرغبة في تسليط الضوء على تاريخ الاستشراق وتطوره نظرا للاهتمام الكبير والمتواصل بشكل دؤوب من الغربيين لدراسة تاريخ العرب الإسلامي منه والثقافي والحضاري، والنفسي حتى.

- الرغبة في التعرف على بعض الشخصيات التي كانت تساند الاستشراق وأهم مواقفها ومبرراتها، على عكس الشخصيات المعارضة أيضا، فقمنا بالتطرق إلى نقد علماء ومفكري العربية للاستشراق كنماذج من عينات متعددة تطرقت لموضوع الاستشراق، مع إسهابنا قليلا في دور إدوارد سعيد لأن نظرتة كانت انتقادية هزت كل الأوساط الفكرية العربية منها وبشكل خاص - كهاجس نوعا ما - الغربية، حتى أنه قد اكتسب شهرته من هذا النقد.

4- أهمية الموضوع:

تمكن أهمية الموضوع في:

- محاولة كشف السعي المتواصل للغرب وراء الإسلام والمسلمين.
- معرفة أهداف المستشرقين من تدوين جزء كبير وهام من تاريخ الإسلام والعرب، وتسخير طاقات بشرية وعلمية ومادية في سبيل ذلك.

5- أهداف الدراسة:

- محاولة كشف السعي المتواصل للغرب وراء الإسلام و المسلمين.
- معرفة أهداف المستشرقين من تدوين جزء كبير وهام من تاريخ الإسلام والعرب، وتسخير طاقات بشرية وعلمية ومادية في سبيل ذلك.

6- المنهج المتبع:

واعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي الوصفي، الذي يجمع بين الوصف والتحليل لاسترجاع الماضي ومعرفة زمن تطور الأحداث، بواسطة جمع الأدلة وتقييمها وتتبع مراحل تطور الاستشراق لدراسة مواقف علماء العربية منه.

7- حدود الدراسة:

وذلك في تتبع الأحداث المتسلسلة بطريقة كرونولوجية وصفية من فترة ظهور الاستشراق حتى القرن العشرين (فترة إدوارد سعيد)، مروراً بأبرز المراحل التي مر بها الاستشراق وصولاً إلى آخر التطورات في التطرق إليه بالدراسة من قبل المفكرين والفلاسفة المتأخرين.

8- المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع ابتداءً بالقرآن الكريم مصدر كل علم وأساسه ومنبعه وغايته، ثم سنعرض هنا أهمها:

تمثلت أهم المصادر في:

- إجنسس جولد تسيهر: تر عبد الحلیم النجار: مذاهب التفسير الإسلامي، تر، عبد الحلیم النجار، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1955.
 - جوزيف شاخت، كليفور بوزورث: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، ط3، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
 - روجيه جارودي: الإسلام دين المستقبل، ترجمة، عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
 - زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، ترجمة فاروق بيوض وكمال دسوقي، ط 8، دار الجليل، بيروت، لبنان، د س.
 - ريتشارد سودرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، ط2، دار المدار الإسلامي، إفرنجي، بيروت، لبنان، 2006.
 - رودى بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة مصطفى ماهر، دط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011.
 - إدوارد سعيد: تعقيدات على الاستشراق
 - إدوارد سعيد: الاستشراق
 - مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين
 - إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق
- أما المراجع التي اعتمدنا عليها في موضوع الدراسة فهي كثيرة نذكر بعضها:
- أحمد سميلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي
 - منصف بوزفور: المدرات الشرقية والاستشراق.
 - عفاف صبرة: المستشرقون ومشكلات الحضارة.
 - منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان.
 - عابد بن محمد السفياي: المستشرقون ومن تابعهم ووقفهم من ثبات الشريعة وشمولها .
 - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: افتراءات المشتريين على الإسلام عرض ونقد.

- أنور الجندى: أهداف التغريب في العالم الإسلامي.

9- الدراسات السابقة:

من خلال محاولتنا في الحصول على المادة العلمية لموضوعنا والاطلاع على ما كُتِبَ في إطار دراستنا، وجدنا العديد والكثير الوفير من الدراسات الأكاديمية المفصلة عن موضوعنا ومنها:

- صالح محمد حسن الأشرف: الإستشراق مفهومه وآثاره، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2016.

- علي بن عبد الله بن محفوظ: أساليب المستشرق "غولد تسيهر" Gold Ziher في عرضه للإسلام "دراسة استقرائية" البحث المكمل لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور، محبوب كردي، جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، قسم الاستشراق، شعبة الدراسات الإسلامية، 1410 هـ/ 1989م.

- هالة ماضي: مفهوم الاستشراق في فكر إدوارد سعيد، مذكرة ماستر، قسم الفلسفة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016.

10- صعوبات الدراسة:

أما الصعوبات فكانت كون المراجع التي تم اعتمادها تحمل نفس المادة العلمية، ومن هنا تأتي صعوبة التنسيق، والترتيب بين المعلومات المتشابهة، وكوننا أنجزنا هذا البحث الذي لا يتضمن مجرد عنصر في الاستشراق بل عناصره من المفهوم إلى آخر المراحل إلى آخر رؤية معاصرة لهذا الموضوع المتوغل في القدم أي أننا تطرقنا إلى دراسته من حوالي من القرن الثامن حتى القرن العشرين، وهي قرون يصعب تقليصها في بحث واحد، وصعوبة أخرى في كون البحث أخذ الكثير من الوقت للأسباب السالفة الذكر وكثرة المراجع فيه والتي كانت متنوعة بدورها.

11- خطة البحث:

تم تقسيم خطة البحث إلى مقدمة وثلاث فصول، الفصل الأول عنوانه بالإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق، وذلك في أربع مباحث فتضمن المبحث الأول ماهية الاستشراق والمستشرقين، والمبحث الثاني فكان بعنوان تاريخ الاستشراق ومراحل تطوره، ثم المبحث الثالث فتمثل في دوافع الاستشراق وأسبابه، أما المبحث الرابع فتناول أهداف الاستشراق، وسائله ومناهجه.

والفصل الثاني جاء بعنوان أثر الاستشراق في الفكر العربي؛ وقُيِّمَ بدوره إلى ثلاث مباحث فجاء المبحث الأول بعنوان الاتجاه الفكري للمستشرقين وبعض من إنتاجاتهم، المبحث الثاني أبرز المستشرقين بين الإنصاف والتشويه، أما المبحث الثالث فتطرق لمواقف العلماء المسلمين ومفكري العرب من حركة الاستشراق وطروحه.

الفصل الثالث عنوانته بآثار الاستشراق على الفكر العربي؛ تضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول تم فيه التطرق إلى إيجابيات الاستشراق، ثم المبحث الثاني بعنوان سلبيات الاستشراق، وأخيرا المبحث الثالث فسلطت فيه الضوء على طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي وسبل مواجهته.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بحاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، مُرفقا في نهاية هذا العمل المتواضع بقائمة الملاحق المعتمدة في هذه الدراسة.

الفصل الأول

الإطار المعرفي والتاريخي

للاستشراق

الفصل الأول

الإطار المعرفي والتاريخي

تمهيد:

طرح الاستشراق تساؤلات عديدة حول دلالاته لدى علماء الشرق والغرب، وأسبابه، وأهدافه، ووسائله،
والمناهج التي اعتمد عليها.

قسمنا الفصل الأول والذي جاء بعنوان الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق إلى أربع مباحث، فتضمن المبحث
الأول ماهية الاستشراق والمستشرقين، والمبحث الثاني فكان بعنوان تاريخ الاستشراق ومراحل تطوره، ثم المبحث
الثالث فتمثل في دوافع الاستشراق وأسبابه، أما المبحث الرابع فتناول أهداف الاستشراق، ووسائله ومناهجه.

المبحث الأول: ماهية الإستشراق والمستشرقين

أصبح الاستشراق اليوم علماً¹ له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته، وأغراضه وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته، فصار حقاً على الباحث أن يعني بتحديد مفهومه والوقوف على معالمه البارزة.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحاً

في البداية وجب أن نتطرق إلى مفهومه الذي يشغل الكثير من المستشرقين وحتى المفكرين من العرب والغرب.

1- المعنى اللغوي:

فعله: (شَرَّقَ)، وفي معاجم اللغة: "شرقت الشمس" شرقاً وشروقاً: طلعت.

شَرِقَ المكان _شَرَقاً: أشرقت عليه الشمس، وأشرقت الشمس: طلعت وأضاءت على الأرض و(شَرَّقَ): أخذ من ناحية الشرق، و(الشَّرْقُ): الشمس، وشجرة شرقية تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار.

والإشراق: انبعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن "تتم به المعرفة"².

والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحت عن معناها في المفهوم اللغوي لم ترد في المعاجم اللغوية المختلفة، غير أن هذا لا يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق حيث يبدو أن (استشرق) أدخل نفسه في علم الشرق وصار منهم³.

و يمكن القول أن "السين" و"الناء" إذا زيدتا في الكلمة قصد بها الطلب، مثل استغفر أي طلب الاستغفار، واستنصح أي طلب النصيحة، وكذا استسقى ونحوها؛ وعليه فـ"الاستشراق": هو طلب علوم الشرق وآدابه، و"استشرق": أي طلب وأراد تعلم ودراسة علوم الشرق وآدابه⁴.

وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة، (استشرق: طلب علوم الشرق ولغاتهم "مولدة عصرية"، يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة⁵.

¹ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ يرفض إدوارد سعيد أن يدعو الاستشراق (علماً) لأنه في رأيه يجهل موضوعه ويصور لنفسه حقائق غير موجودة.

² إبراهيم أنس وآخرون: المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية للنشر - مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 480.

³ أحمد سمائلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص، ص 21، 22.

⁴ إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط3، الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص 11.

⁵ يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص، ص 9، 10.

2- المعنى الاصطلاحي:

سنحاول التوفيق بين مختلف الآراء والأفكار حول مفهوم الإستشراق، وعرض المفاهيم من علماء العرب والغرب وسندرج هنا بعضها:

الإستشراق: علم يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم .. ويدخل ضمن معنى الشرق أية منطقة شرقية...⁶

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعنى بالعالم الشرقي مصطلح "الاستشراق"، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بـ"المستشرقين".

هذا هو الاستشراق بمفهومه الواسع، وهناك مفهوم خاص ويعني الدراسات المتعلقة "بالشرق الأوسط" لغته وآدابه، وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، ويطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات (بالمستعربين)⁷.

المطلب الثاني: مفهوم الاستشراق لدى علماء الغرب

أما لدى علماء الغرب فيتساءل "آرثر آربي" نفسه ماهو الاستشراق؟ وماكنه المستشرق؟ إن الاستشراق ومثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، حتى أن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار والحفريات والمؤرخ وعالم الصرف والاشتقاق وعالم الأصوات والفيلسوف، وعالم اللاهوت، والموسيقي والفنان.⁸

ويقول بارت (مستشرق ألماني): الاستشراق علم يختص بفقه اللغة، خاصة، ولا بد لنا أن نفكر في المعنى الذي أطلق عليه كلمة "إستشراق" المشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس⁹، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو العالم الشرقي... والشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا من الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا¹⁰. والمصطلح يرجع إل العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، التي كان فيها البحر المتوسط يقع

⁶ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 13.

⁷ فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الأولى الإسلامية) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998، ص 30.

⁸ يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، المرجع السابق، ص، ص 8، 9.

⁹ محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994، ص، ص 13، 14.

¹⁰ رودى بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة مصطفى ماهر، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011، ص 17.

كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تحدد بالنسبة إليه، ، كذلك تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها، وإذا شئنا دقة أكثر تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها¹¹.

ويعرف **جويدي (مستشرق إيطالي)** "علم الاستشراق" وصاحبه قائلا: والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو "علم الشرق"... من الممكن أيضا القول أنه بناء الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني.. **وعلم الشرق** هذا علم من علوم الروح يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية¹².

المطلب الثالث: مفهوم الاستشراق عند العرب

وأما علماء العرب فقد ذهبوا في فهمهم للاستشراق مذاهب عديدة لا بد من الإشارة إلى بعضها.

يعرفه **الدكتور محمود حمدي زقزوق** بأنّ المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في على لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام¹³.

ويقرر **"إسحاق موسى الحسيني"** أن لفظة "إستشراق" ومشتقاتها مولدة استعمالها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalisme، ثمّ استعملوا الاسم فعلا، فقالوا استشرق وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال "علماء المشرقيات" بدلا من "مستشرقين" ويؤثرون استعمال سرياني لدارسي العربية مقابلة للفظـة Arabist ولكن لفظة "استشرق" ولفظة "مستشرق" قد شاعتا شيوعا كبيرا¹⁴.

ويرى **الطيب ابن ابراهيم** أنّ الاستشراق لا يعد تاريخا أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة، والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطا عضويا وتكامليا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من إطار زمني ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري¹⁵.

¹¹ محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام ، د ط، دار الفكر العربي، مصر، 1992، ص 144.

¹² أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص 24.

¹³ محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1997، ص 18.

¹⁴ يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، المرجع السابق، ص 15.

¹⁵ فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية،

2012، ص 15.

وقد ورد تعريفه في الموسوعة العربية العالمية؛ بأنه حقل إبداعي ومعرفي وإبداعي ضخم نشأ في الغرب (أوروبا وأمريكا الشمالية) لدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالبا) وتمثلها في الفنون المختلفة. وتعتبر الجوانب العلمية والسياسية والدينية للاستشراق هي الأبرز في جوانبه المختلفة¹⁶.

المطلب الرابع: تعريف المستشرق

ما جاء في تعريف "المستشرق" فهو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه¹⁷.

وكلمة مستشرق *orientalist* فهي - كما يقول المستشرق الألماني ألبرت ديترش A. Dietrich - تعني "الباحث الذي يسعى إلى دراسة الشرق وتفهمه. ولكي يتسنى له ذلك عليه دراسة اللغات الشرقية وإتقانها¹⁸.

ويذهب آخرون إلى أنهم يمثلون: جماعة من المؤرخين والكتّاب الأجانب الذين خصصوا جزءا من حياتهم في دراسة وتتبّع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق¹⁹.

أما قاموس إكسفورد الجديد فيحدد المستشرق *Orientalist* بأنه "من تبخّر في لغات الشرق وآدابه²⁰.

هذا ومن خلال استقرار المراجع والدراسات التي تناولت هذا الموضوع، يلاحظ أن المستشرق لابد أن يكون غربيا²¹، ولا فرق بين أن يكون نصرانيا أو يهوديا أو مسلما، أو ملحدا ينكر الدين من أصله²².

وفي العموم ليس من الضروري أن يرحل هذا المستشرق إلى الشرق، ليعيش فيه، فقد يقوم بدراسته في جامعته الغربية... كما ليس من الضروري أيضا أن يتحدث باللغات الشرقية، وإن كان الإلمام بها يعينه كثيرا في دراسته²³.

ويرى مالك بن نبي أننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية. ثم إن علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

¹⁶ الموسوعة العربية العالمية، ط2، المجلد 1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 712.

¹⁷ أحمد سمائلوفيتش: مرجع سابق، ص 22.

¹ فتح الدين أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 15.

¹⁹ فاروق عمر فوزي: مرجع سابق، ص 30.

²⁰ يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، المرجع السابق، ص، ص 8، 9.

²¹ لكن نجيب العقيلي صاحب كتاب الموسوعة عن الاستشراق والمستشرقين قد شدّ عن هذا الإجماع، حينما ذكر بعض الرهبان العرب والشرقيين ضمن المستشرقين، ومن عدّهم الأب "جورج قنوتي" المولد في الاسكندرية من أصل سوري إلى أن عدّ نفسه من المستشرقين مع أنه ولد ونشأ وتعلّم في لبنان.

(أنظر: نجيب العقيلي: المستشرقون، ط4، ج3، دار المعارف، القاهرة، مصر، د س، ص، ص 270، 353).

²² إسماعيل محمد علي: : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، المرجع السابق، ص 13.

²³ علي حسن الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988، ص 22.

أ_ من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل "جرير دوريباك" والقديس "توماس الإكويني" وطبقة المحدثين مثل "كاردواوفو" و "جولد تسيهر".

ب_ من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها²⁴.

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق ومراحل تطوره

اختلفت آراء المستشرقين وتعددت حول بداية للاستشراق ولم يتفقوا على رأي محدد يمكن أن نعتبره البداية الحقيقية، وباعتبار الاستشراق يدرس الشرق للسيطرة عليه فهو ممتد عبر العصور إلى يومنا هذا عبر المراحل التاريخية.

المطلب الأول: نشأة الاستشراق

أما نشأة الاستشراق فلا يوجد اتفاق بين الباحثين على فترة معينة لبدايته فمنهم من أرجع تاريخه إلى القرون الأولى الميلادية. فيما ذهب الحقيقي للقول إلى أنه ظهر²⁵ عند بعض الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدراسها، وترجموا القرآن والكتب والعربية إلى لغاتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم²⁶، بدءاً برحلة جرير دي أوريك (G.de'Aurillac) من فرنسا سنة 967م إلى قرطبة طلباً للحكمة، وقد مكث في الأندلس ثلاث سنوات يدرس الرياضيات والفلك والكيمياء²⁷.

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا الثقافة المكتوبة باللسان العربي، ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" العربية، وأخذت الأديرة و المدارس الأوروبية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية -وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ- واستمرت الجامعات الأوروبية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة لمدة ستة قرون²⁸.

ويرى أحمد الشرباصي أن الاستشراق بدأ في القرن الثالث عشر ميلادي²⁹، حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية. فيما يرى البعض أن البدايات الأولى للاستشراق تكونت بعد الحروب الدموية التي

²⁴ مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين ، ط1، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، 1969، ص 5.

²⁵ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق، ص 30.

²⁶ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997،

ص، ص 17، 18.

²⁷ محمد ياسين عربي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط1، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المملكة المغربية، 1991، ص 137.

²⁸ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها- التبشير ، الاستشراق، الاستعمار- دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، ط8،

دار القلم، دمشق، سوريا، 2000، ص 122.

²⁹ يحيى مراد: ردود على شبهات المستشرقين، دار الفكر المعاصر، صنعاء، دس، ص 57.

نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام 1056³⁰. حيث ترتبط نشأة الاستشراق وذلك الفشل الذريع الذي منيت به أوروبا في الحروب الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبي، ذلك أن الحروب الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين³¹.

وهناك من يربطه بظهور أول ترجمة للقرآن الكريم في سنة 1143³²، وقد نسبت إلى مؤلفها الأب بطرس المبلجل³³. ويؤيد الكثير أنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي حيث صدر قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1313³⁴ بإنشاء صفوف للغات العبرية، والعربية، والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان، كما أوصى المؤتمر بأن تنشأ هذه الصفوف في باريس على نفقة ملك فرنسا وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا وفي بولونيا على نفقة رجال الدين³⁵.

وهناك رأي جعل الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798، هي بداية الاستشراق الحقيقي حينما صحب نابليون معه عددا كبيرا من العلماء الذين تخصصوا في فروع عديدة من المعارف وأنتجوا إنتاجا حضاريا ضخما³⁶.

- تأخر ظهور مصطلح الاستشراق في أوروبا:

يقول "آربري" أن أول استعمال لكلمة مشتشرق رأيناه في سنة 1630، حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي سنة 1691 وجدنا أنتوني وورد يصف صامويل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية³⁷. هكذا يُولد الاستشراق؛ الكلمة *orientaliste* (مستشرق) تظهر بالانكليزية نحو عام 1889، بالفرنسية عام 1799، كذلك الاسم الاستشراق يقبل في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1838³⁸. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عُقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام

³⁰ فاروق عمر فوزي: مرجع سابق، ص 30.

³¹ محمد السيد الجليل: الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص 11.

³² يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، تر. عمر لطفي العالم، ط2، دار الدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص 17.

³³ بطرس المحترم: راهب ولاهوتي فرنسي، ولد حوالي 192م، في أوقرن وسط فرنسا، نُشئ في دير تابع لدير كلوني Cluny، وفي سنة 1120 أصبح رئيسا لدير دومين Domene (جنوب شرقي فرنسا)، ثم رئيسا لدير كلوني سنة 1122م، توفي في 25 ديسمبر 1156م، ترجم القرآن سنة 1143م، (أنظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار الملايين، ط3، بيروت، لبنان، 1993، ص، ص 110، 111)

³⁴ إسماعيل محمد علي: : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، المرجع السابق، ص 15.

³⁵ عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دط، دار الجيل بيروت، لبنان، دس، ص، ص 92، 93.

³⁶ علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص 26.

³⁷ محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام، المرجع السابق، ص 142.

³⁸ مكسيم رودنسون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، التنوير، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 52.

1873، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام³⁹.

المطلب الثاني: مراحل تطوره

1- المرحلة المبكرة:

كانت هذه المرحلة قد بدأت في وقت مبكر في تاريخ الإسلام فكان أعظم ما قام به العرب إلى جانب نشرهم الإسلام وتأليفهم في علومه المختلفة، قيامهم بترجمة آداب وفلسفات العالم وخاصة اليونانية والرومانية والهندية والفارسية، ومناقشتها والرد عليها.. ولم يكن للكنيسة في روما قدرة على ترجمة آثارها اليونانية والرومانية.. وقد وفد على حاضرة المسلمين بغداد عشرات من كتاب الكنيسة لينهلوا من علوم الإسلام ويصلوا إلى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجمها بعدئذ إلى لغاتهم وخاصة اللاتينية، لغة الكنيسة آنذاك لتعتمدها في نشر أفكارها ويمكن عدُّ رحلاتهم هذه كموجة إستشرقية أولى بالمعنى الذي نقصده⁴⁰.

وبعد عهد الإصلاح الديني شعر الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر في شروحهم فأتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية وأخذوا يستفيدون من مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة⁴¹.

ومن هنا كان الاستشراق قد انطلق عندما اهتم الغرب في بداية نهضتهم بالحضارة العربية الإسلامية⁴²، عندما نقل الكنسيون علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب "بغداد" وغيرها من البلدان العربية (الأندلس)، إلى روما حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري⁴³. وأخذ الاستشراق يشب في كنف الكنيسة التي ترعاه توجهه وتستغله بكل وسعها وإمكاناتها، وقد اتسمت هذه العصور كلها بتعصبها الأعمى ضد الإسلام

³⁹ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص 19.

⁴⁰ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 13.

⁴¹ أحمد بشير وآخرون: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1981، ص، ص 469، 470.

⁴² المبروك الشيباني المنصوري: صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2014، ص 66.

⁴³ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية المرجع السابق، ص، ص 13، 14.

ورسوله وظلت مبادئه وتعاليمه عبئا ثقيلا على العقل الأوروبي⁴⁴. كما ساد هذه المرحلة اتجاه لاهوتي خرافي متطرف في جدله وعدائه للإسلام⁴⁵.

ويقول إدوارد سعيد لقد تأسس الإستشراق رسميا، وبدأ انطلاقته الحقيقية في القرن الرابع عشر الميلادي بقرار من الكنيسة ليعمل لحسابها، على أساس أن الإسلام يمثل مشكلة للغرب المسيحي، وعلى هذا الغرب أن يتعامل مع هذه المشكلة (الإسلام) بوسائل فعالة⁴⁶.

2- مرحلة التبشير:

إن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي والفكري، والأخلاقي، إن ذلك كله نتيجة طبيعية لتعاليم الكنيسة⁴⁷، التي رغبت في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكّن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق. وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان⁴⁸.

و هنا يتفق جميع المستشرقين على أن هذه المرحلة تمثل حركة استشراق بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه والتي بدأت في شكل واضح بداية القرن السابع عشر، حين نشطت الكنيسة في إرسال أعضائها إلى مناطق عديدة في إفريقيا وآسيا⁴⁹. إن فكرة التبشير التي أدت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسعا من خلال تنقلات الوعاظ الدينيين لطائفتي الدومينيكان⁵⁰ والفرنسيسكان⁵¹ بوصفهم وُعاظا ورحالة، فمحاربة الكفر بوسائل الوعظ والإفهام، تطلّب الإهتمام بمعارف الخصم والوقوف على حججه⁵².

⁴⁴ أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص 71.

⁴⁵ أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، 1996، ص 46.

⁴⁶ محمد عبد الله الشراقوي: الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د. س، ص 8.

⁴⁷ قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط1، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، حلب، سوريا، 1983، ص 51.

⁴⁸ محمد البهي: المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، مصر، دس، ص 12.

⁴⁹ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 17.

⁵⁰ الدومينيكانيون: أعضاء تنظيم ديني روماني كاثوليكي أسسه القديس الاسباني دومينيك في أواخر القرن 13م، كان تنظيم الدومينيكانيون بالعمل الذهني إذ أنّ الأنظمة السابقة ركزت على الأعمال اليدوية واشتهروا بأنهم وعاظ ومدرسون ومنصرون، من أشهر أعضائهم توما الأكويني. (أنظر: الموسوعة العربية العالمية: المجلد 10، المرجع السابق، ص 535).

⁵¹ الفرنسييسكان: أعضاء من منظمات نصرانية مختلفة تنتمي إلى الرومان الكاثوليك، أخذوا إلهامهم ونظام حكمهم وبرنامج حياتهم من القديس فرانسيس. (أنظر: الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق المجلد 7، ص 349).

⁵² يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص 87.

وقد اتبعت شتى الوسائل لتحقيق هذا المشروع التبشيري من تعلم العربية عن طريق الدروس الخصوصية إلى فتح المدارس العربية إلى إرسال المبشرين إلى الشرق مثل الفرنسيين روجير⁵³ بيكون⁵⁴. وقد شارك بيكون في طموحاته المبشر (ريموند لول)⁵⁵ الذي كان من أشد المهتمين باللغة العربية في هذه الفترة وهو الذي درس الغزالي وابن رشد منتصرا للأول ضد الثاني⁵⁶، ثم تفرغ لوضع خطة العمل التبشيري، معتمدا في إعدادها على "الدراسات اللاهوتية والفلسفية والتأمل الروحي"، وتعلم العربية⁵⁷.

وهنا أثرت في مفهوم الاستشراق عدة عوامل أهمها: النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة، وحركة التنوير "النزعة العقلية"، فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية⁵⁸. ثم تطوّر الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أغراضهم⁵⁹.

بكلمة واحدة كان الفارق كبيرا بين مجتمع متأخر بطيء ومجتمع ناضج متطور.. وهكذا كان الفشل السياسي والعسكري العامل الأكثر فعالية وراء ظهور حركة التبشير باعتبارها الوسيلة البديلة حيث غدّى الغزو الديني والثقافي بديلا للحرب التي لم تحقق الهدف المنشود⁶⁰. وقد بقي هذا الأمل في الأذهان الأوروبية حتى دشنه "نابوليون" باحتلال مصر وظهور الاستعمار⁶¹.

3- مرحلة الاستعمار:

⁵³ روجر بيكون Roger bacon: (1214م - 1294م) جد فرنسيس بيكون رائد الفلسفة المادية التجريبية في الغرب، وقد كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع العالم المسيحي على حساب العالم الإسلامي، ولبولغ هذا الغرض لابد من شروط ثلاثة وهب: معرفة اللغات الإسلامية، دراسة أنواع الكفر وتمييزها بعضها عن بعض، دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها. (أنظر: ريتشارد سودرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، ط2، دار المدار الإسلامي، إفريقيا، بيروت، لبنان، 2006م، ص - ص 95 - 100).

⁵⁴ حمد ياسين عربي: المرجع السابق، ص 186، 187.

⁵⁵ ريموندو لولويو (1235-1314) من أغرب شخصيات العصر الوسيط المتعددي المواهب، فهو شاعر وقصصي ورياضي ومعلم ومبشر ومتصوف ورحالة. ولد في بالما في جزيرة ميورقة (اسبانيا) قضى تسع سنوات في تعلم العربية، انضم إلى الرهبانية الفرانسيسكانية، صنف كتب جدل كثيرة للرد على المسلمين واليهود، ثم أخذ بالصوفية فأبحر إلى تونس (1291)، حارب فلسفة ابن رشد في باريس (1309-1311)، حضر مؤتمر فيينا (1311-1312)، رجع إلى إفريقيا وقتل فيها، أشهر كتبه تأملات في الله. أنظر: نجيب العقيلي: المرجع السابق، ج1، ص 122، 123.

⁵⁶ صلاح الجابري: الاستشراق قراءة نقدية، ط1، دار الأوتل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، دمشق، سوريا، 2009، ص 247.

⁵⁷ يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، المرجع السابق، ص - ص 27 - 32.

⁵⁸ أحمد عبد الرحيم السايح: المرجع السابق، ص 46.

⁵⁹ أحمد بشير وآخرون: المرجع السابق، ص 469، 470.

⁶⁰ أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف، مصر، دس، ص 31، 32.

⁶¹ منتصف بوزفور: المدرات الشرقية والاستشراق، موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص 43.

ثم تطور الحال مرة أخرى في أوروبا، وجاءت مرحلة السيطرة أو الهيمنة الاستعمارية، على الشرق وتكوين الإمبراطوريات والمستعمرات في العالم الإسلامي⁶²، وخلال القرن الثامن عشر أنشئ كرسيان جديدان في اللغة العربية في جامعتي أكسفورد وكامبردج، ثم اختتم هذا القرن بحملة نابليون على مصر وبلاد الشام التي صاحبها عدد كبير من العلماء، أغلبهم من المستشرقين⁶³. واحتلال الجزائر في 1830، وسمرقند 1868 في يد الروس ثم سقوط جميع دول الإسلام ما عدا الحجاز واليمن وإيران وأفغانستان في يد الاستعمار الفرنسي أو الانجليزي أو الهولندي أو الإيطالي⁶⁴. في هذه المرحلة حدث تحوّل جذري في الدراسات الاستشرقية منذ أواسط القرن التاسع عشر، واستمر إلى أواسط القرن العشرين وسمي هذا الاستشراق بالاستشراق الاستعماري بعد أن صارت أوروبا قوة فكرية واقتصادية⁶⁵.

وإذا كان الغرب قد غزا الشرق والإسلام عسكرياً، فإن الاستشراق رافق هذا الغزو وقدم له وبارك ومهد له الطريق على الجبهة الثقافية والفكرية⁶⁶، فدور الاستشراق كما يراه إدوارد سعيد يقع في أن خبرة المستشرق الخاصة وضعت في خدمة الاستعمار⁶⁷، وقد ظهر هذا الارتباط بين الاستشراق والتنصير والاستعمار في كتابات ريموند لول⁶⁸.

ومن هنا أصبح الاستشراق، كفرع بحثي، مجسداً في مؤسسات ومسارات مهنية جديدة، وكذلك في ترجمات كثيرة ومنشورات بحثية. كانت فرنسا أحد المراكز المهمة في هذا الحقل البازغ⁶⁹.

4- مرحلة الاستشراق الجديد (المعاصر):

⁶² محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق دراسة تحليلية تفويجية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، د.س، ص 10.

⁶³ سعد المرصفي: المستشرقون والسنة، دط، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1990، ص 13.

⁶⁴ لخضر شايب: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، باتنة، الجزائر، 2001، ص 72.

⁶⁵ المبروك الشيباني المنصوري: المرجع السابق، ص 67.

⁶⁶ محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الاسلامي، المرجع السابق، ص 104.

⁶⁷ ويقتضينا الحق أن نقول مرة أخرى أن فريقاً من المستشرقين، قد وقفوا إلى جانب الحق ولم يسخروا علومهم وبحوثهم لخدمة الاستعلاء الغربي المتمثل في قهر الشرق الإسلامي واستعمار سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وإعلامياً بل إن بعضهم يشعر بالخجل من عمل أساتذتهم وزملائهم، يقول Stephan zild "والأقبح من ذلك أنه يوجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة". (أنظر: محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق دراسة تحليلية تفويجية المرجع السابق، ص 10)

⁶⁸ قاسم السامرائي: المرجع السابق، ص 52.

⁶⁹ زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته - الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة شريف يونس، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2007، ص 129.

لا يكاد الاستشراق الجديد الذي تشكّل في بداية هذا القرن يختلف اختلافا جذريا عن بقية الاستشراق التي حللناها سابقا... ويقوم الاستشراق الجديد ... على نظرة كلاسيكية متجددة في التمثلي والأهداف والنائج.⁷⁰

ثم بدأ التغير يظهر تدريجيا في مفهوم الاستشراق ، كما يؤكد المستشرق السويسري جاك واردنبرغ عندما أدخلوا باحثين في حقول معرفية أخرى، وهي علم الاقتصاد وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، ودخل أحيانا المتخصصون في الأدب والفنون والذين انشغلوا - وعلى نحو متزايد- بدراسة المجتمعات والثقافات الإسلامية⁷¹ ، فطرحت القضايا الأنثروبولوجية والإثنية، وأصبح الشرق حقل تجارب، لكن طُرح كذلك إشراقا جديدا، انجلوساكسوني الهوية وأسس معهد "الشرق الأوسط" في واشنطن، ثم تمّ تكوين "مجلس الشؤون الأوسطية" في "نيويورك" سنة 1948 وعمدت لجنة "سكاربورغ" بناء على مشورة "آبري" إلى الشروع بتجديد الاستشراق في بريطانيا⁷² ؛ ومع ضعف قوة بريطانيا وتعاظم قوة أمريكا بعد 1945، حدث شيء ما أشبه باستشراق إدوارد سعيد، ليشكل دون وعي توجهات الولايات المتحدة الشعبية وسياساتها الخارجية اتجاه الشرق الأوسط⁷³.

وخططت الولايات المتحدة لدورها الاستعماري الجديد ووظفت الاستشراق، ومراكز البحوث ورسمت لذلك ما أسمته بسياسة العلاقات الثقافية "Cultural Relations Policy". وقد أفصح Mortimer Graves عن طبيعة هذه السياسة الثقافية قائلا: إن العملية الشاملة لتجميع لغات الشرق الأدنى المهمة الصادرة منذ 1900 وحتى اليوم (1950)، إجراء يتعلق بالأمن القومي الأمريكي، وهو من أجل فهم أمريكي أفضل للقوى التي تنافس الفكرة الأمريكية، وأهم هذه القوى المناوئة لأمريكا قوتان: هما الشيوعية والإسلام⁷⁴.

أما الشيوعية الآن فقد انتحرت أو اندحرت، فإن الإسلام بقي وحده ليمارس معه الاستشراق المعاصر. وهكذا أخذ الاستشراق في المرحلة الأمريكية الراهنة ملامح جديدة منها: الاهتمام بدراسة المجتمعات الإسلامية Studies Area دراسة ميدانية، ودراسة ما أسموه بالإسلام الشعبي Islam Popular والتركيز على بحوث التصوف⁷⁵ والطرق الصوفية⁷⁶. ثم لا بد من التنبيه على خطورة النشاط الاستشراقي في هذا المجال والإلمام بتقنياته

⁷⁰ المبروك السبياني المنصوري: المرجع السابق، ص 111.

⁷¹ عبد الله بن عبد الوهبي: حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، ط1، مركز البحوث والدراسات، الرياض، 2014، ص 43.

⁷² منصف بوزفور: مرجع سابق، ص 39.

⁷³ دوجلاس ليتل: الاستشراق الأمريكي الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط منذ 1945، ترجمة طلعت الشايب، دار قلم، بيروت، لبنان، 2009، ص 59.

⁷⁴ محمد عبد الله الشرفاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، 2016، ص 35.

⁷⁵ يضيف المستشرق جب" في التصوف قاعدة فعالة هي قدرته على استثمار التجربة الدينية على نحو منظم، وهو ينشأ كعلم الكلام في مرحلة راقية من مراحل التطور الديني. ولم يكن في القرن الأول من تاريخ الإسلام متكلمون أو متصوفة". لتحديث الدين باسم التصوف (أنظر، علي إبراهيم النملة: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم، ط2، بيسان، بيروت، 2011، ص 154).

⁷⁶ محمد عبد الله الشرفاوي: الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة تفهيمية تحليلية، المرجع السابق، ص 11، 12.

التي استحدثتها، وأساليبه الجديدة التي انتهجها ومناهجه التي وظفها: دائرة حول علم الإنسان (أنثروبولوجية)، ونفسية (سيكولوجية)، وإحصائية واجتماعية (سوسيولوجية) ⁷⁷.

يتكئ الاستشراق المعاصر على الإستشراق القديم، مع أنّ هناك محاولات جادة من بعض المستشرقين المعاصرين لتحسين صورة الاستشراق لدى العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين، وتأكيدهم على النظرة المعاصرة للإسلام ⁷⁸. كما أنّ البحث الاستشراقي في هذه المرحلة يتجه إلى إنجاز دراسة تستند إلى جدول أعمال مهمته "تحسين أوضاع" الشرق و"تحديثه" يمكن أن نرى هذا بوضوح في كتب مثل **اتجاهات حديثة في الإسلام** لهاميلتون جيب ⁷⁹، **والإسلام والغرب لفليب حتي** ⁸⁰. و تتمثل الأطروحة الجديدة في أن الإسلام لا يتوافق مع العالم الحديث ⁸¹.

المبحث الثالث: دوافع الاستشراق وأسبابه

ليس ميسورا أن نشير إلى عامل واحد أو عاملين في تفسير الدوافع التي حفزت المستشرقين إلى دراسة تاريخ الإسلام وحضارته، ذلك أنّ الاستشراق ظاهرة تاريخية معقدة تنوعت دوافعها عبر القرون وتباينت حسب المراحل التاريخية، والحقيقة أنّ جملة عوامل اشتركت في تحديد معالم الاستشراق ومنطلقاته ولعل الدوافع البارزة مايلي:

المطلب الأول : دوافع الاستشراق

1- الدوافع الدينية:

لا شك في سيطرة الدافع الديني على سائر الدوافع الأخرى ⁸²، الذي ظهر أول ما ظهر بين الرهبان في العصور الوسطى، من أجل تمكين دولهم الأوروبية من السيطرة على العالم العربي الإسلامي سياسيا واقتصادية ⁸³،

⁷⁷ عبد الراضي: محمد عبد المحسن آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مجلة الفيصل، السنة 26، العدد 301، دار الفيصل الثقافية، الرياض السعودية، أكتوبر/ سبتمبر 2001، ص 115.

⁷⁸ علي بن إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية، ص السعودية، 1998، ص، ص 131، 132.

⁷⁹ جب: أكبر مستشرفي إنجلترا المعاصرين، كان عضوا بالجمع اللغوي في مصر وأستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية. من كبار محرري وناشري "دائرة المعارف الإسلامية"، له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته، من بين كتبه "طريق الإسلام"، الاتجاهات الحديثة في الإسلام "صدر عام 1947، وترجم إلى العربية، "المذهب المحمدي" صدر عام 1947. (أنظر: محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، المرجع السابق، ص 544).

⁸⁰ فيليب حتي: لبناني مسيحي، اكتسب الجنسية الأمريكية، وكان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا، ثم رئيسا لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش ومن ألد أعداء الإسلام (أنظر: غبراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، ص 87).

⁸¹ ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ترجمة، فخري صالح، ط1، كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص 141.

⁸² محمد السيد الجليلند: المرجع السابق، ص 16.

كما يؤكد الدكتور محمد البهي " أنّ السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو ديني في الدرجة الأولى"⁸⁴.

ذلك أنّ سيطرة المسلمين السياسية التي كانوا يعيشون في ظلها أطلقت العنان لمؤثرات ثقافية عربية أضرت بالدين المسيحيين لذا كان لابد أن يكونوا صورة أوضح وإن لم تكن أكثر دقة، عن أسيادهم وعن أفكار أسيادهم. وكان هدف المدافعين المسيحيين الشرقيين مثل يوحنا الدمشقي كما كان هدف العلماء في الغرب أن ينشروا تحليلهم للإسلام لكي يقاوموا ما يمكن أن يكون له من تأثير⁸⁵.

لقد كان الإتصال بالفكر الشرقي وبالإسلام قائما على اعتبار أن الإسلام دين مهدد لاستقرار أوروبا. وسعى الاستشراق إلى أمرين لا يمكن تلخيصهما هما الإسلام والعرب. ولم يصل إلى مستوى الدراسة الأنثروبولوجية الثقافية إلا بواسطة متغيرات هي: دراسة اللغة العربية كلغة ميتة والعرب كشعب بائد⁸⁶.

2- الدوافع التجارية (الاقتصادي):

كانت ولا زالت ثروات الشرق وخيراته إحدى الأهداف التي سعى الغرب للسيطرة عليها، وحرمان شعوب المنطقة منها، ولذلك أنشأت الأسواق التجارية والمؤسسات المالية⁸⁷، لهذا شكّل العالم الإسلامي مجالا اقتصاديا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين، وتبع ذلك بالضرورة عناية الغربيين بدراسة علومه وثقافته وفلسفته⁸⁸.

كذا رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين⁸⁹.

وفي سبيل الحصول على هذه الخامات وتصنيعها وتغليفها والإفادة منها ثم تصديرها إلى الشرق وغيره مرة أخرى، كان لابد من التعرف على البيئات التي تحوي الخامات فكانت الدراسات الجغرافية ومحاولات الاستكشاف، التي دفعت إليها الحاجة لاستغلال الموارد الطبيعية لهذه البقعة من العالم⁹⁰.

3- الدوافع العلمية:

⁸³ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق، ص 31.

⁸⁴ محمد البهي: الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1961، ص 522.

⁸⁵ جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، ط3، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص، ص 30، 31.

⁸⁶ منصف بوزفور: المرجع السابق، ص، ص 39، 40.

⁸⁷ محمد السيد الجليلند: المرجع السابق، ص 22.

⁸⁸ أحمد سمائلوفيتش، المرجع السابق، ص 45.

⁸⁹ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص، ص 23، 25.

⁹⁰ علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات، ط3، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 2011، ص 70.

يعد العالم العربي كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون ونزلت شرائع وأديان، وقد أثارت هذه القيم علماء الغرب فاهتموا بدراساتها واكتشاف أسرارها⁹¹، ونقلها إلى الغرب لتنهض أوروبا وتتقدم نحو الرقي الحضاري، الذي سبقها به المسلمون... فكان لابد من تعلم العربية والتلمذ على أيدي علماء المسلمين، والرحلة إلى حيث يقيمون. وانكب الغربيون ينهلون من علوم الشرق الإسلامي وطفقوا يجمعون المخطوطات الإسلامية في شتى الميادين وينقلونها إلى اللغات الأوروبية⁹². وقد بلغ ما ترجم من العربية في القرون الوسطى أكثر من ثلاثمائة كتاب، منها تسعون في الفلسفة والطبيعات، وسبعون في الرياضيات والنجوم، وتسعون في الطب، وأربعون في الفلك والكيمياء، وظلت هذه هي زاد أوروبا الذي أخذت تثريه وتفيد منه شيئا فشيئا حتى كانت نهضتها المادية الكبرى التي هددت كياننا بعد ذلك⁹³.

ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الدراسات الاستشرافية بدافع حب الإطلاع على حضارت الأمم، وأديانها وثقافتها، ولغاتها⁹⁴.

4- الدوافع الاستعمارية:

يعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الاسلام وانتشاره⁹⁵. فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد الإسلام وخاصة بلاد الشام وما حولها، من طمأنينة ومدنية وحضارة لا عهد لهم بمثلها، كما سمعوا الشيء الكثير عن ثرواتها ومصانعها وأراضيها الخصبة الجميلة، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما فقي نفوسهم في الحق إلا الرغبة في الاستعمار والفتح والاستئثار بخيرات المسلمين وثرواتهم⁹⁶.

لذا ترتبط ظاهرة الاستشراق ارتباطا عضويا بظاهرة الاستعمار، فلكل الدول الاستعمارية الغربية مؤسسات إستشرافية وعندما فشلت الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها الدينية والسياسية في العصور الوسطى، عاد الأوروبيون مرة أخرى إلى الشرق في ثوب الإستعمار⁹⁷.

5- الدافع السياسي:

⁹¹ يحيى مراد: المرجع السابق، ص 54.

⁹² إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، المرجع السابق، ص - ص 39-41.

⁹³ عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1995، ص 54.

⁹⁴ عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني: المرجع السابق، ص 141.

⁹⁵ أحمد سمائلوفيتش، المرجع السابق، ص 50.

⁹⁶ مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، دس، ص 211.

⁹⁷ الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ص 712.

رأى الغرب بعد انحسار جيوشه وإجلائها عن أراضي الشرق، أن يكون له وجود سياسي يربط في سفاراته وقنصلياته ممن لهم خبرة في الدراسات الاستشراقية ليقوم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة، لتجنيد بعض رجال الفكر والسياسة والصحافة لمصالحهم⁹⁸ ، وكان كثير من المستشرقين -ومازالوا- يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياساتها الاستعمارية والتنصيرية في الشرق الإسلامي، وعلى سبيل المثال، كان المستشرقان البريطانيان مكدونالد⁹⁹ وجب¹⁰⁰ مستشارين لحكومتهم في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية وغيرها، وعمل ماسينيون مستشارا للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شمالي إفريقيا. ومزال المستشرق اليهودي برنارد لويس يعمل مستشارا للحكومة الإسرائيلية في تخطيط سياستها ضد العرب والمسلمين¹⁰¹ . ولا تكاد تخلو سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول الإسلامية من سكرتير أو ملحق ثقافي يجيد اللغة العربية يتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة فيتعرف أفكارهم ويبحث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته¹⁰² .

6_ الدوافع الأدبية/ الفنية:

في القرون الوسطى كانت المعلومات عن الشرق والإسلام بشكل خاص تدخل الخيال الغربي وتؤثر في تشكل تقاليد أدبية وفنية ما تزال مستمرة في العديد من الأعمال الإبداعية. في ملحمة الشاعر الإيطالي "دانتي" الكوميديا الإلهية¹⁰³ في القرن الثالث عشر الميلادي. أما على مستوى الفنون التشكيلية، فإن أشهر ما أسفرت عنه التقاليد الاستشراقية، هي اللوحات التي أنتجها فنانون العصر الثامن عشر في أوروبا من أمثال الفرنسي دي لاكروا¹⁰⁴ . هذا وقد غزا (الموتيف) الشرقي الأدب في القصة والشعر والتراجيديا والكوميديا، التي تضمنت تصورات سطحية أولية مشبعة بالمفاهيم اللاهوتية للقرون الوسطى المميزة للفكر المسيحي الأوروبي في عداته للإسلام، كعقيدة وفكر سياسي واجتماعي، بالإضافة إلى ظهور "ألف ليلة وليلة" (1717-1774) وبها تركزت مجموعة من

⁹⁸ عبد الرحمن عميرة، المرجع السابق ، ص 98.

⁹⁹ مكدونالد (1863-1943) مستشرق أمريكي، أشرف على القسم الإسلامي ببارتفورد بأمريكا لسنوات طويلة، وأنشأ مجلة عالم الإسلام ، وله دراسات عديدة عن الدين الإسلامي وعلم الكلام، والتصوف والفلسفة والفقه، ودراسات ألف ليلة وليلة، ويصدر مكدونالد في كتاباته عن روح تبشيرية واضحة. أنظر: جوستاف بفاغوللر: الإسلام في الفكر الاستشراقي، ترجمة، محمود حمدي زقزوق، ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، 1923، ص 129.

¹⁰⁰ جب: سبق تعريفه.

¹⁰¹ الموسوعة العربية العالمية: ، المرجع السابق، المجلد1، ص، ص 712، 713.

¹⁰² مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص 25.

¹⁰³ الذي وصف عذاب الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام علي كرم الله وجهه، في الآخرة على نحو ساخر ومخيف، لأنهما حسب رأيه أصل الفساد في الأرض لقد تكونت بفعل هذه الكتب تصورات وإدراك جماعي لدى الأوروبيين بأن الإسلام يتسم بالكذب والتشويه. (أنظر: عبد الله يوسف سهر محمد، المرجع السابق ص 10).

¹⁰⁴ الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، المجلد1، ص 713.

الكليشيهات عن الشرق الإسلامي تتركز حول الشرقي الدموي، المضحك، الساذج، الميل إلى الانفعالية والطرب، والمتعصب دينياً، وأدت إلى تأطيره في مختلف الفنون: الكوميديا والدراما نذكر منها "حجاج مكة"، "أركان محمد"..¹⁰⁵

7- الدوافع الإيديولوجية:

وتكمن هذه الدوافع في وجود الأيديولوجيات¹⁰⁶ المختلفة، أيديولوجية الأفراد والجماعات والدول والحكومات والأجناس، والقوميات... إلخ وكل منها تسعى للسيطرة على الأخرى¹⁰⁷. والمستشرقون يبدؤون بدراسة اللغات وجمع المواد تحت دفع إيديولوجي بالتمام، وهكذا بدأت في إسبانيا، الدراسات العربية في خدمة العمل التبشيري منذ القرون الوسطى¹⁰⁸، ولو أخذنا في الاعتبار أن الاستشراق له هدفه وفلسفته وأنه لم يبدأ مصادفة...، واستخدم كل الوسائل المشروعة والغير مشروعة، حتى أرسى قواعده الأيديولوجية التي تبرر أعماله، ومنها "الغاية تبرر الوسيلة"، "فرق تسد"، "حارب تسيطر"، "اغتصب تملك" وما أكثرها من أمثال في فلسفة ميكافيلي ونيتشيه وهرتزل وغيرهم، ومن هنا لا نشك في أن الدافع وراء العناية بدراسة اللغات بجميع ألوانها، "دافع أيديولوجي محض".. ولقد تبلور هذا كله في غزو الغرب الفكري الذي كان يرمي إلى إضعاف الشرق عامة والعالم الإسلامي خاصة ليقتلعه من جذوره...¹⁰⁹

هذا ما جسّد مظهرًا للصراع الديني والأيديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي¹¹⁰. كما يعتبر الإسلام المنافس الإيديولوجي للديمقراطية الليبرالية، بعد اغتيال الاتحاد السوفيتي، واستغلت الصهيونية مخاوف الغرب من الإسلام فعملت على طرح نفسها كحليف للغرب ضد الإسلام¹¹¹.

¹⁰⁵ محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص، ص 37، 38.

¹⁰⁶ إن كلمة إيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية، تعني لغويًا في أصلها الفرنسي، علم الأفكار، تتضمن تقارير وأحكامًا حول المجتمع، تنبع عن مصلحة، وتهدف إلى إنجاز عمل معين وتقود إلى نظرية نسبية فيما يتعلق بالقيم. أنظر، عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2012، ص، ص 9، 14.

¹⁰⁷ يحيى مراد: ردود على شبهات المستشرقين، المرجع السابق، ص 39.

¹⁰⁸ مكسيم رودنسون: المرجع السابق، ص 41.

¹⁰⁹ أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص - ص 46 - 48.

¹¹⁰ أحمد عبد الرحيم السايح: المرجع السابق، ص 46.

ومن هنا كان الاستشراق يمثل مجموعة اهتمامات الغرب بالشرق دينيا وثقافيا وبضائع وموارد وسوق عمالة "سوق قطع غيار" للغرب، وإرساء فكرة أن العالم الشرقي والإسلامي، يمكن أن يكون معملا للفكر الغربي والبحث العلمي¹¹².

المطلب الثاني: أسبابه والعوامل المؤدية إلى استفحال الظاهرة الاستشراقية

اختلف المؤرخون في تحديد أسباب الحركة الاستشراقية التي تمخضت عن الصراع العسكري والحضاري والديني والسياسي، فولدت حركة فكرية معرفية سلطوية موجهة، ، ورَدُّوها إلى عوامل مختلفة، منها:

- احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة، ومن ثمَّ غزوة تبوك؛
 - الحروب الصليبية؛
 - الحروب بين مسلمي الأندلس ونَصَارَها منذ الفتح الإسلامي لإسبانيا حتى خروج المسلمين منها؛
- وقد يردّ بعض الباحثين سبب نشوء هذه الحركة وصراعاتها إلى حاجة الغرب للرد على الإسلام، ولمعرفة أسباب قوة أبنائه بعد سقوط القسطنطينية سنة 857 هـ¹¹³.
- كان "المستشرق الإسباني ريمون رول" أول من استخدم هذا السلاح الجديد، ونادى بإيجاد كرسي للدراسات الشرقية والإسلامية، في جامعات أوروبا، وذلك لأسباب التالية:
- إيجاد دراسات تاريخية ودينية، تشوه الإسلام، وتخط من تعاليمه وقيمه
 - إدخال مفاهيم الغرب العصرية -العلمية والمادية- للطلاب الموفدين من البلاد الشرقية
 - القضاء على قوة العرب والمسلمين والسيطرة على الثروة الاقتصادية في بلادهم¹¹⁴.

¹¹¹ أشرف بدر: الايديولوجية الصهيونية والغرب رحلة التوظيف من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مجلة الاستغراب، العدد 6، السنة الثانية، شتاء 2017، ص، ص 124، 125.

¹¹² محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي 3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994، ص 19.

¹¹³ علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 03 / 09 / 2000، ص 8.

¹¹⁴ منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان، 1997، ص 24.

ومنذ "ريمون لول" إلى يومنا هذا كان الاستشراق مجرد عمل معرفي... ثم بعد ذلك كانت الحروب الصليبية من أهم دواعي قرار "المجمع الكنسي" بفيينا. وكانت المطاعم الشمالية كبيرة حين كانت الإمبراطورية البيزنطية قائمة. فتوحيد الرومانيتين وسحق الإسلام والاستيلاء على الطرق التجارية الكبرى كان مطلباً من مطالب التخلص من الفقر والتشرد الإقطاعي وتوسع سلطة الكنيسة... وطرد المسلمين من الأندلس وصقلية وكان العمل قائماً على توجه عقلاني ونهضوي جديد، وعلى أمل في اكتساح كل الشرق، لولا اكتشاف أمريكا، وطرق تجارية أخرى أهم¹¹⁵.

وبقي هذا الأمل قائماً حتى جاءت حملة نابليون على مصر والتي تعتبر من أهم الأسباب التي أدت إلى زيادة الرغبة في الإستشراق في الغرب وفتحت السبيل أمام الباحثين، فامتألت بهم ساحات المكتبات العربية كمستشرقين يبحثون ويدرسون في وقت كانت فيه البلاد العربية في سبات عميق نظير ما أصابها من تدهور سياسي واستعمار¹¹⁶.

كانت حملة نابليون (1798-1801) أول غزو أوروبي للشرق العربي، وقد صحب معه عدداً كبيراً من العلماء المتخصصين في سائر فروع المعرفة، فمنهم: الأثريون والمهندسون والأطباء والمؤرخون والمستشرقون والمترجمون واللبنانيون والمصريون والسوريون من أمثال: ميخائيل صباغ الذي اتصل بالمستشرقين: دي ساسي، وكاترمير، وعمل في المكتبة الوطنية بباريس، وقد أمر نابليون بتأليف المجمع العلمي المصري، و تأسيس مطبعة عربية - كان قد استنصفها من الفاتيكان - لطبع تصريحاته وبلاغاته ومنشوراته، وإصدار ثلاث صحف واحدة منها بالعربية، وإنشاء مكتبة ومتحف ومختبر (معمل) ومصنع ومرصد ومسرح، ويسر للجميع الإطلاع عليها والإفادة منها¹¹⁷.

ونشرت بعثته بحوث علمائها ورسومهم وخرائطهم في كتاب: وصف مصر (1809-1813) ثم حلّ شمبليون رموز الكتابة الهيروغليفية بقراءته حجر رشيد (1822)، وألّف لها أجرومية ومعجماً (1832)، فوضع أساس علم الآثار المصرية، ومهد السبيل إلى العلماء للتتقيب عن عالم عظيم مفقود.

ولم يقتصر أثر البعثة على حملة نابليون بل تجاوزتها إلى العصور التي تلتها والدول التي تشبهت بها.

فكانت آخر الحلقات التي تتلاقى فيها الشرق والغرب لقاء سيف ودينار واستعمار¹¹⁸.

¹¹⁵ منصف بوزفور: المرجع السابق، ص 43.

¹¹⁶ عفاف صبرة: المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 1985، ص 30.

¹¹⁷ علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص، ص 74، 75.

¹¹⁸ نجيب العقيقي: المرجع السابق، ج1، ص، ص 136، 137.

المبحث الرابع: أهداف الاستشراق، وسائله ومناهجه

وقد بحث العلماء في أهداف الأبحاث والدراسات التي تغص بها مكاتب الاستشراق، وتوظيف كل الوسائل الممكنة واعتماد مختلف المناهج، فقط لدراسة العرب والإسلام فوجدوها مختلفة متعددة ومتنوعة.

المطلب الأول: أهداف الاستشراق

تعددت أهداف المستشرقين وتنوعت، تقودها أهواؤهم الشخصية وحقدهم على المسلمين تارة، وحكوماتهم وسياساتها الموجهة، تارة أخرى.

1- الأهداف الدينية:

رغب المسيحيون في التبشير بدينهم فأقبلوا على الاستشراق¹¹⁹، فكان الهدف من هذه الجهود - الاستشراقية- في ذلك العصر، وفي القرون التالية هو التبشير، وإقناع المسلمين ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي¹²⁰. فالكل يرمي إلى مواجهة الشرق، والتعرف على السبل المناسبة لذلك، وإعادة صياغته على النمط الأوروبي¹²¹.

- تشكيك المسلمين بدينهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان: ديني واستعماري.

- التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاث الأولى، بهدف إسقاط السنة ويفقد المسلمون الصورة التطبيقية لأحكام الإسلام¹²².

¹¹⁹ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصيته بالاستعمار الغربي، المرجع السابق، ص 522.

¹²⁰ رودى بارت: المرجع السابق، ص، ص 14، 15.

¹²¹ إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ط2، دار حنين، القاهرة، مصر، 1992،

ص 59.

¹²² سهام ربيع عبد الله، الاستشراق، ط1، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص 27.

- التشكيك في ربانية القرآن¹²³ {وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}،¹²⁴ فمن المستشرقين من كان يرجع ذلك إلى صرع يصيب النبي صلى الله عليه وسلم، أو مرض نفسي أو تخيلات¹²⁵.

- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، فزعموا أنه مستمد من القانون الروماني¹²⁶. ولذلك "تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن"¹.

2- الأهداف السياسية والاستعمارية التوسعية

على حساب الأراضي الإسلامية التي تحدها من اليسار أو الجنوب، وكانت روسيا ترى أنها أولى من المسلمين بالتمتع بثرواتها¹²⁷. وسيطرة الاستعمار الغربي، وتمكينه من توجيه السياسة حسب مصالحه¹²⁸؛ كما تميز الاستشراق الانجليزي في القرن التاسع عشر بخدمته للأهداف الاستعمارية، وبحكم ارتباطه الوثيق بالاستعمار، يقوم بمهمة جمع المعلومات وترجمة النصوص وتفسير التاريخ والحضارات ويقوم المستشرق بهذه المهام كخبير يفسر الشرق الإسلامي لحكومته¹²⁹.

- القضاء على وحدة الدولة بما يحول دون عودة الخلافة الإسلامية، بإثارة النعرات الإقليمية والقومية¹³⁰ والعصبية، وإحياء التاريخ القديم السابق للإسلام¹³¹، ولقد هدف الغرب إلى استعمار عقولنا قبل أن يغزو أرضنا، فقد كانت هناك ولا تزال "ثقافة غربية" تتسلل إلى عقل إنساننا في هذه المنطقة بأساليب مباشرة وغير مباشرة لتوجيه مصالح الغرب"¹³².

3- الأهداف الثقافية والحضارية:

¹²³ إسماعيل محمد علي: مفتريات المستشرقين وتلاميذهم على الإسلام رد على كتاب محمد واليهود نظرة جديدة، ط2، دار الكلمة للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، 2018، ص 92.

¹²⁴ سورة يونس، الآية 36.

¹²⁵ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: افتراءات المشتريين على الإسلام عرض ونقد، ط1، مكتبة وهبة مصر، 1992، ص 151.

¹²⁶ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص، ص 25، 30.

¹²⁷ سعدون الساموك: الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2003، ص 55.

¹²⁸ منذر معاليقي: المرجع السابق، ص 31.

¹²⁹ مازن مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995، ص، ص 31، 32.

¹³⁰ وهناك الدعوة إلى: إحياء الفرعونية في مصر، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال إفريقيا، والفينيقية في ساحل فلسطين ولبنان، وإلى تفضيل الفارسية كلغة آرية على العربية كلغة سامية. (أنظر، محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في الإسلام، المرجع السابق، ص 2).

¹³¹ أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف، مصر، د س، ص 14.

¹³² سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص، ص 22، 23.

نشر الثقافة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعمارية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى¹³³، وقد تركزت أهداف الاستشراق، مع تنوعها أخيراً في خلق التخاذل الروحي والشعور بالنقص في نفوس المسلمين، و حملهم على الرضى والخضوع للتوجيهات الغربية¹³⁴. ثم بعد ذلك تحاول هذه الدراسات الاستشراقية تأصيل نزعة "محاكاة الغرب" في العقل الشرقي وذلك من خلال تشجيع المثقفين في الارتباط بأوروبا ثقافاً ولغةً وتقاليد والابتعاد عن الهوية الثقافية والحضارية الشرقية. كما أنكرت بحوث أخرى أصالة الحضارات الشرقية ومنها العربية الإسلامية وحاولت بشتى الطرق إعادة النظم الإسلامية إلى أصول يونانية أو بيزنطية¹³⁵.

فالتقاء الميراث الهليني¹³⁶ واليهودي في رأي الباحثين قد أنشأ الإسلام في الشرق والعلم الأوروبي في الغرب¹³⁷. بالإضافة إلى التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي؛ كما شككوا في غنى الأدب العربي وفي صحة الشعر الجاهلي¹³⁸.

4- الأهداف الاقتصادية:

والهدف الديني للاستشراق لا يخرج عن كونه استغلالاً للدين في سبيل تحقيق أهداف تجارية اقتصادية بحتة¹³⁹، والمؤلفون لا ينكرون أن التبشير اتخذ الكثيرون آلة للتجارة والسياسة¹⁴⁰. ومن هنا أرسلت المؤسسات المالية في الغرب من يتولى إدارة شؤونها في الشرق، فعينت المستشارين و المترجمين من المستشرقين المهتمين بالتراث العربي يعمل على تحقيقه ونشره والاستفادة منه، كما أنشئوا بعض المؤسسات المالية في دول الخليج واليمن¹⁴¹. فقد يتحقق بالغزو العسكري كسب الخيرات واستغلال المصالح المادية، إلى جانب ما يحققه من النفوذ الفكري والسلوكي، ثم إنه يهدف إلى كسب مادي آخر في تسويق إنتاجه وترويج بضاعته، ولو اقتصر على التغريب الفكري لتعثرت أعمال الاستعمار في الاجتياح والنفوذ، ومن قبل لا بد أن نشير إلى أن (صناعة الاستشراق)

¹³³ مازن مطبقاني: الاستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، د س، ص 11.

¹³⁴ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، المرجع السابق، ص 527.

¹³⁵ عمر فوزي: المرجع السابق، ص 35.

¹³⁶ كانت الهلينية حضارة خرجت إلى الوجود في أواخر العصر الألفي الثاني للميلاد، وكان أول ظهور لها في البحر الإيبي، وانتشرت من هناك إلى البحر الأسود والبحر المتوسط، ثم توسع نطاقها برا فتوغلت نحو الشرق إلى آسيا الوسطى والهند وامتدت غرباً إلى شواطئ شمال إفريقيا وأوروبا المطلة على المحيط الأطلنطي أنظر: أرنولد تويني، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، د ط، مكتبة الأسرة، مصر، 2003، ص 19.

¹³⁷ آمنة الجبلاوي: الإسلام المبكر الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد باتريساكرون ومايكل كوك أنموذجاً، ط 1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2008، ص 49، 50.

¹³⁸ عقلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، ط 1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص 49.

¹³⁹ علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات، المرجع السابق، ص 100.

¹⁴⁰ مصطفى الخالدي، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1953، ص 35.

¹⁴¹ محمد السيد الجليلند: المرجع السابق، ص 22.

و(احتراف) فعالياته رائجة السوق فالإصدارات بالعربية والأجنبية، والمطبوعات المنفردة، وابتعثت الأساتذة كخبراء ومحاضرين تمنحهم مكاسب مادية مجزية، واغتنام المخطوطات الإسلامية بأثمان بخسة، ثم بيعها بعد تحقيقها بأثمان باهظة¹⁴².

5- الأهداف الاجتماعية والأخلاقية:

-القضاء على مقومات الأسرة وهدم قيم المجتمع وإدخاله إلى مرحلة التحلل والتمزق، وتدمير الشخصية الإنسانية؛

- إشاعة مفهوم المادية في العلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية عن طريق الماركسية؛-حجب القانون الرباني المتمثل في الشريعة الإسلامية، وفرض القانون الوضعي الذي يهدم الخلق والأسرة¹⁴³.

-إنكار الدين واعتباره طوراً متخلفاً من أطوار التقدم الاجتماعي وفصل الإسلام عن السياسة وعن الأخلاق والحملة على العقائد والقيم. و في حقل الجنوسة المتصل بعلاقات السلطة الاستشراقية، حيث تكون المرأة مقصية أو تابعا من توابع الرحلة للرجل¹⁴⁴. والمستشرقون بنظرياتهم الخاطئة، يحاولون إثارة المرأة في هذا الجانب، لما لها من تأثير على الأسرة والمجتمع الإسلامي، وذلك بتعليمها مفاهيم منافية لتعاليم الإسلام، تحت ستار التحضر والعلمنة¹⁴⁵.

6- الأهداف العلمية المشبوهة:

سلك المبشرون والمستشرقون كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر والمجمع العلمي بدمشق والمجمع العلمي ببغداد، كما تدخلوا بتأييد الاستعمار، في مجال التربية والتعليم محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، ونجحوا إلى حد كبير حتى أن أولياء العهد لملوك المسلمين كانوا يقصدون إنجلترا للدراسة والعلم منهم: الملك السابق فاروق (مصر)، الملك فيصل (العراق)...¹⁴⁶

¹⁴² نذير حمدان: مستشرقون سياسيون-جامعيون-مجمعيون، ط1، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1988، ص، ص 251، 252.

¹⁴³ أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، المرجع نفسه، ص 14.

¹⁴⁴ علي بهداد: الإستشراق في عصر التفكك الاستعماري، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2013، ص 192.

¹⁴⁵ فاطمة هدى نجا: المستشرقون والمرأة المسلمة، د ط، دار الإيمان، 1991، ص- ص 37-40.

¹⁴⁶ إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، 1964، القاهرة، مصر، ص 73.

يقول المستشرق (شاتليه) "ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية التأثير على عقول أبناء الشرق وقلوبهم ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته... وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليُبثَّ في دين الإسلام التعاليم الفرنسية"¹⁴⁷.

- تشويه مواقف العرب والمسلمين وغرس شبهات حول مقدساتهم، تحت غطاء البحث العلمي والغاية الإنسانية العامة.¹⁴⁸ وبذلك أذل علمنا، لأنه أخضع كل علومنا لمقاييسه هو وصوره وأطره هو تحت اسم البحث العلمي الرصين.¹⁴⁹

- فرض الفلسفات المادية (جدلية وبرجماتية ووضعية ووجودية) بما تحتوي من أحقاد وأهواء وأوهام الإلحاد وإنكار ما لا يخضع للتجربة وإدعاء المنهجية في البحث (منهج التجريب)؛ ومن ذلك كتابة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر غربية مادية. وفي مقدمتها نظرية دارون كمدخل إلى الإلحاد، والتشكيك في مفاهيم الإسلام وفي قضية الخلق القرآنية.¹⁵⁰

7- أهداف علمية خالصة

وقد نجد عددا قليلا جدا من المستشرقين طلبوا علوم الشرق والتعرف على حضارته طلبا للمعرفة وحبا فيها¹⁵¹، والانبهار بالمد الإسلامي بأحكام الإسلام وواقعته إلى أن يبحثوا فيه، ويكتبوا عنه متجردين من الهوى والأغراض. وهناك نماذج عدّة من هذه الفئة في عالم الاستشراق¹⁵². وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء. إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية والتاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان "دينيه"¹⁵³.

المطلب الثاني: وسائل الاستشراق

¹⁴⁷ شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي la conquête du monde musulman، تر، مساعد الياقي ومحب الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر

الحديث، جدة، 1387هـ، ص، ص 13، 14.

¹⁴⁸ منذر معاليقي: المرجع السابق، ص. 31.

¹⁴⁹ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص، ص 22، 23.

¹⁵⁰ أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 16.

¹⁵¹ محمد السيد الجليلند: المرجع السابق، ص 24.

¹⁵² علي ابن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق المفهوم - الأهداف - الارتباطات، المرجع السابق، ص 103.

¹⁵³ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص - ص 25 - 33.

لم يترك المستشرقون وسيلة تؤدي إلى تحقيق أهدافهم ونشر أفكارهم وخططهم إلا سلكوها، ومن هذه الوسائل:

- **تأليف الكتب:** في موضوعات مختلفة عن الإسلام، واتجاهاته، ورسوله، وقرآنه¹⁵⁴، وهذه الكتب - في الأغلب - حوت تزويرا للحقائق وافتراءات على الإسلام، هجوما عليه، وانتقاصا منه، منها ما يتسم بالوضوح، ومنها ما يتدثر بالخفاء والالتواء. مثل: مذاهب التفسير الإسلامي، تأليف جولد تسيهر، حياة محمد وليام موير...¹⁵⁵

- **مقالات في الصحف المحلية عندهم،** وقد استطاعوا شراء عدد من الصحف المحلية في بلادنا، ويعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر.¹⁵⁶

- **تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي خاصة،** وبلدان الشرق عامة، لتخريج أجيال منسلخة من إسلامها، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة، ولكل ما يلقي إليها من أفكار ومبادئ¹⁵⁷.

- **إنشاء كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الأوروبية جميعها** مثل جامعة السوربون في باريس، وجامعة ستراسبورج والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ودمشق وطهران وتونس، إلى جانب جامعات إنجلترا مثل جامعة أكسفورد وكمبريدج، وجامعة ويلز وكذلك جامعات اسكتلندا في سانت أندروز، وجامعة إيرلندا الوطنية¹⁵⁸.

- **إصدار المجلات الخاصة** ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم وكل ما يتعلق بهم، ففي عام 1920 أصدر الفرنسيون المجلة الآسوية، وفي لندن عام 1822 أصدرت مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، وفي عام 1842 أنشأ الأمريكيون مجلة باسم "الجمعية الشرقية الأمريكية"، وفي نفس العام أصدر الألمان مجلة خاصة بهم، كذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا¹⁵⁹. ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر "مجلة شؤون الشرق الأوسط". وكذلك "مجلة الشرق الأوسط". وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي¹⁶⁰.

¹⁵⁴ أحمد عبد الرحيم السايح: المرجع السابق، ص 56.

¹⁵⁵ إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل المرجع السابق، ص 80.

¹⁵⁶ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص 35.

¹⁵⁷ عبد القادر سيد عبد الرؤوف: دراسات في التبشير والاستشراق، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، مصر، د س، ص 6.

¹⁵⁸ عفاف صبرة: المرجع السابق، ص 31.

¹⁵⁹ عبد القادر سيد عبد الرؤوف: المرجع السابق ص - ص 7-9.

¹⁶⁰ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصيته بالاستعمار الغربي، المرجع السابق، ص 525.

- إنشاء المكتبات الشرقية التي تحتفظ بجميع الوثائق والمخطوطات والمطبوعات المتعلقة بالشرق ولعل أهم مراكز العناية بالكتب الإسلامية جميعاً وفهرسة، مكتبة الكونغرس الأمريكية، ولينينغراد وباريس الوطنية¹⁶¹ ومكتبة المتحف البريطاني في لندن ومكتبة الأسكوريال (إسبانيا) والتي تضم حوالي 1990 مخطوط عربي من بقايا المكتبة الأندلسية الإسلامية بغرناطة، وهناك مكتبة برلين الوطنية في ألمانيا¹⁶².

- عقد المؤتمرات: انعقد أول اجتماع عام 1874، ومؤتمر المستشرقين عبارة عن هيئة علمية متشعبة الأطراف تعنى بالحضارات الشرقية في تاريخها القديم، الحديث والمعاصر، ومن عام 1914-1918 انعقد ستة عشر مؤتمراً¹⁶³. منها مؤتمر القاهرة عام 1906، مؤتمر بيروت 1911، مؤتمر القدس 1935، مؤتمر دلهي بالهند 1961.¹⁶⁴

- التحقيق والنشر: حيث قام المستشرقون بتحقيق عدد كبير من كتب التراث الإسلامي ونشره لأهميات الكتب في السيرة والتاريخ وعلوم القرآن والتراجم والتفسير حتى بلغ ما ألفوه ستين ألف كتاب في التاريخ والشريعة والفلسفة والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية¹⁶⁵.

- ظهور الجمعيات الاستشرافية: مثل الجمعية الملكية الآسيوية في لندن 1834 والجمعية الآسيوية باريس 1822، الجمعية الأمريكية الشرقية 1842¹⁶⁶.

- إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية بوجه عام، التي تتناول الشرقيات من جميع جوانب المعرفة، واتخاذها وسيلة لدس الأفكار الاستشرافية السامة التي يريدون دسها وإقناع أجيال الشعوب الإسلامية بها¹⁶⁷. مثل "دائرة المعارف الإسلامية"¹⁶⁸ صدرت بعدة لغات حية ويعاد طبعها في الوقت الحاضر، دائرة معارف الدين والأخلاق¹⁶⁹.

¹⁶¹ إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون في تاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشرافية، المرجع السابق، ص 21.

¹⁶² عفاف صبرة: المرجع السابق، ص 32.

¹⁶³ سهام ربيع عبد الله: المرجع السابق، ص 54.

¹⁶⁴ إبراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، ص 75.

¹⁶⁵ أحمد عبد الرحيم السايح: المرجع السابق، ص 55.

¹⁶⁶ محمد إبراهيم الفيومي: الإستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 49.

¹⁶⁷ عبد القادر سيد عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص 6.

¹⁶⁸ أهم مؤلف استشرافي على الإطلاق، وهي مجموعة من المقالات والبحوث المتعلقة بالإسلام والمسلمين، بأقلام كبار المستشرقين بدأت فكرتها عندما شعروا في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم. (أنظر: خالد عبد الله القاسم: مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج1، دار الصميعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2010، ص53، ص54)

¹⁶⁹ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصيته بالاستعمار الغربي، المرجع السابق، ص 550.

- إرسال الإرساليات التبشيرية وتشجيع الرحالة والمكتشفين لزيارة البلدان الإسلامية، وذلك لدراسة جغرافيتها¹⁷⁰.

- الترجمة: حيث قاموا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلقات إلى لغاتهم، فضلاً عما تُرجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب وغير ذلك.¹⁷¹

- وسائل الإعلام والبعث الفضائي: إن من يتبع تاريخ الاستشراق في العصر الحديث، يتبين له بكل وضوح أن دراسات المستشرقين للإسلام والمسلمين ذات ارتباط وثيق بخدمة الاستعمار، والتنصير، وخدمة الحكومات والاستخبارات الغربية في تحقيق أهدافها الرامية إلى حرب شاملة ودائمة على الإسلام والمسلمين في مجالات العقيدة والشرعية والثقافة وأحياناً ميادين القتال. وقد استغل أعداء الإسلام أحداث 11 سبتمبر لرمي المسلمين بالإرهاب والتطرف، في وسائل الإعلام¹⁷² من المحطات الفضائية، التلفزيون، الراديو، الشريط المسجل المرئي والمسموع والمؤتمرات العامة¹⁷³. كما أنّ ردود الأفعال الغربية الحديثة إزاء الإسلام يسيطر عليها نمط تفكير تعرض للتبسيط بصورة جذرية، مازلتنا نستطيع أن نطلق عليها صفة التفكير الاستشراقي¹⁷⁴. ففي أواخر التسعينات كانت هذه الرسائل الإستشراقية الأكثر تعقيداً تنعكس على شاشات السينما الأمريكية¹⁷⁵، من خلال منظومة هوليوود لصنع انطباع جماعي عن تماثل الفلسطينيين والعرب مع الهنود الحمر، ولكن بسبب جهلهم لم يكونوا مؤهلين لبناء الدولة الحضارية الحديثة، لذا فإن هناك مبررات أخلاقية لاستبدال شعب بآخر¹⁷⁶.

المطلب الثالث: مناهج المستشرقين

1- المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يهتم بالوثائق والمخطوطات والمفروض أن هذا المنهج يوازن ما بين الموجودات من المعلومات بقصد التأصيل، المعلومات، ولكن أتباع هذا المنهج قد انجرفوا وراء المنهج الذاتي بالمنهج التاريخي، الذي جعل من منهجهم ذاتياً أكثر منه تاريخياً¹⁷⁷.

¹⁷⁰ خالد عبد الله القاسم: المرجع السابق، ص، ص 46، 47.

¹⁷¹ محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 66.

¹⁷² خالد عبد الله القاسم: المرجع السابق، ص، ص 32، 33.

¹⁷³ حسين علي أحمد: وسائل الغزو الفكري الإستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 4، قسم الشريعة، كلية العلوم، جامعة الموصل، نيسان 2012، ص 407.

¹⁷⁴ إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة، محمد عناني، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 90.

¹⁷⁵ ليتل دوغلاس، المرجع السابق، ص 49.

¹⁷⁶ عبد الله يوسف، سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ط 1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 43.

¹⁷⁷ سعدون الساموك: الاستشراق ومنهجه، مرجع سابق، ص، ص 34.

2- المنهج المقارن: يعد هذا المنهج جزءاً من المنهج التاريخي ، ويكون هدفه التأصيل التاريخي، كأن يستدل على قدم الظاهرة، بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها، وأدلتها كأدلة المنهج التاريخي ليست قاطعة¹⁷⁸، وهكذا أخضع القرآن قسراً، لضروب شتى من الطعن والتشكيك، تحت مظلة العلم ودريئة المنهج العلمي المقارن، وعقلانية البحث العلمي¹⁷⁹.

3- منهج المطابقة والمقابلة: وهو دراسة النصوص والتحقق منها، حيث كانوا يجمعون النصوص ويقابلون بينها، ويطابقونها ويرجعون إلى المخطوطات الأصلية، إلا أنها مع ذلك لم تسلم من الأخطاء، فإنهم كانت لهم فرضيات وأحكام مسبقة وكانوا يحاولون إثباتها بتطويع النصوص للبرهنة على صحتها¹⁸⁰. فنمط اللغة العربية مثلاً عندهم لا يختلف عن الكتابات السريانية القديمة، في إشارة إلى أن الكتاب المقدس الذي نزل باللغة الآرامية هو الأصل، ولا يمكن مقابلة القرآن وإن كان وعاء لغوي بأي كتاب آخر¹⁸¹. "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"¹⁸².

4- منهج الأثر والتأثر: وذلك بالإحالة إلى مصادر خارجية كالبابلية واليونانية واليهودية والنصرانية والمجوسية، ونحو ذلك لغاية مقصودة ألا وهي إفراغ الإسلام من أصالته كشرعية وكنهجه حياة¹⁸³. ويعنون بذلك أن الإسلام ما هو إلا دين ملفق من النصرانية واليهودية، وقد حرص أكثر المستشرقين أمثال جولد تسيهر وشاخت على أن الإسلام مستمد من اليهودية وتأثيرها¹⁸⁴.

5- المنهج اللغوي (الفيلولوجي) المطوّر بتأثير من المدارس الألسنية الحديثة في نقد النصوص، قدّم العديد من المستشرقين الجدد أطروحات تنتمي إلى حقول علم اللغة المقارن (الفيلولوجيا)، والتي تدرس النص القرآني، وتاريخ الإسلام المبكر - كما يسمونه -، أو تاريخ الحقبة التي نشأ فيها الإسلام، وظروف تلك النشأة وتداعياته، ويتميز

¹⁷⁸ إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون والمناهج اللغوية، ط2، دار حنين، عمان، 1992، ص 41.

¹⁷⁹ عمر لطفي العالم: المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991، ص 23.

¹⁸⁰ صالح محمد حسن الأشرف: الإستشراق مفهومه وآثاره، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2016، ص 10.

¹⁸¹ عمر لطفي العالم: المرجع السابق، ص، ص 24، 25.

¹⁸² القرآن الكريم، سورة النساء الآية 82

¹⁸³ صلاح الدين حسين خضير: الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة (نقد وتحليل)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، (مجلة علمية محكمة)، المجلد3، العدد 10، جامعة تكريت، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، تشرين الثاني 2011م، ذو الحجة 1423هـ، ص 424.

¹⁸⁴ صالح محمد حسن الأشرف: المرجع السابق، ص 10.

هذا الاتجاه البحثي بنقده الجذري للدراسات التاريخية والفيلولوجية في الاستشراق التقليدي. وكذلك محاولته توظيف المعطيات الأركيولوجية¹⁸⁵، في مشروعه لإعادة بناء تاريخ النص القرآني، وسائر وقائع الإسلام المبكر¹⁸⁶.

6- المنهج التحليلي: يعتمد هذا المنهج إلى تحليل و تفتيت الظاهرة الفكرية موضوع الدراسة إلى مجموعة من المكونات والعناصر يتم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من الوقائع أو العوامل التي أنشأتها¹⁸⁷. فالمنهج التحليلي في دراسته للظاهرة يردّها إلى عناصرها الأولية، كالظروف الدينية أو الاجتماعية أو السياسية. وخطورة تطبيق هذا المنهج تكمن في حتمية تأثر المستشرق ببيئته وثقافته ودينه وحضارته، ومن ثم لا يمكن أن يصل إلى نتائج سليمة فيما يتعلق بدراسة الظواهر الإسلامية¹⁸⁸.

7- المنهج الإسقاطي: والإسقاط (projection)- في علم النفس - حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه إلى غيره من الناس، أو الأشياء، فالإسقاط هو العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا و رغائبنا وعواطفنا على الآخرين أو على موضوع من الموضوعات، وهذا ما ينطبق على الكنيسة و الاستشراق والتبشير¹⁸⁹.

فهو الذي يقحم فيه المستشرق نزعتة الذاتية واتجاهه الفكري والديني -المسيحي واليهودي- والسياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها وأتباع هذا المنهج يجعلون الدين خاضعا للمقاييس العلمية التي تبعد الغيبيات والوحي عن سير الأحداث الإسلامية¹⁹⁰. ونعني بذلك أيضا إسقاط الواقع المعاصر المعيش، على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم¹⁹¹.

- الخلاصة في المنهجية الاستشراقية:

¹⁸⁵ الأركيولوجيا هو علم يسعى إلى استثمار الآثار القديمة (عظام، عملات، نصوص مكتوبة على الكهوف، وغيرها، أسلحة... إلخ) في إعادة بناء التاريخ الماضي. أنظر: عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي: المرجع السابق، ص. 112.

¹⁸⁶ عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي: المرجع نفسه. 112.

¹⁸⁷ حسن حنفي: التراث التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هنداوي للنشر، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، 2017، ص 86.

¹⁸⁸ محمد قدور تاج: الاستشراق ما هيته، فلسفته و مناهجه، ط1، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2014، ص 181.

¹⁸⁹ شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين و المبشرين، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1998، ص 15.

¹⁹⁰ سعدون الساموك: المرجع السابق، ص، ص34، 35.

¹⁹¹ عبد العظيم الديب: المنهج عند المستشرقين، ص 363.

قد يقدم المستشرق الواحد في تفسير الحضارة الإسلامية على مناهج متعددة، ولكنهم يلتقون في الغالب الأعم على هدف واحد، وهو الوصول إلى ما يؤيد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشري من صنع عبقرية فردية أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية¹⁹².

ولابد من التقرير بأن العلاقة بين المستشرق والشرق كانت بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف الباحث المستشرق أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلص الإبهام عن طريق التصوير المتعاطف والإدراك الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول إليه. وهم يعتمدون الأهواء الشخصية والميول التي تساعد في دعم آرائهم¹⁹³.

خلاصة الفصل:

في مقام التعريف وجب أن نلاحظ واقعة منهجية مؤداها أنّ حقول الاستشراق واسعة، ومدارسه متعددة، وأنماطه مختلفة، ومحطاته التاريخية متدرجة، ولأنّ الاستشراق الوافد من الغرب والمتلقى من الشرق هو حركة تاريخية مرتبطة بالتطورات الزمنية واختلافها، فقد اختلف في فهمه وتناقضت نصوصه، فهناك حركات استشراقية وليس حركة واحدة، وهناك "استشراقات" متعددة وليس واحدا، بدأ الاستشراق بالاحتكاك، وتطور إلى حاجة، وانتهى إلى وظيفة ودخل الآن مرحلة الفوات الزمني في عصر لم يعد بحاجة إلى مغامر ليقراً، ومصور ليرسم، ومرشد ليدل، فالاختراق حصل، وموضوع الهيمنة حسم لمصلحة عالم افتراضي، ومما تتميز به أعمال المستشرقين ووسائلهم وأهدافهم أنّها كثيراً ما تكون متكاملة، يعرف فيها أحدهم، في الغالب، ما عمله من قبله فيأتي دوره هو ليضيف شيئاً ما على ما سبق إنجازه، ولا شك في أن التنسيق فيما بينهم يساعد على سرعة الانجاز رغم ما بينهم من حدود ومسافات.

¹⁹² إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون في تاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، المرجع السابق، ص، ص 62، 63.

¹⁹³ سعدون الساموك: مرجع سابق، ص 95.

ودراسة الأشياء وتفصيلها تطورت وتجاوزت العموميات السابقة، وموضوع الهيمنة حسم لمصلحة عالم افتراضي، ودراسة الأشياء وفي تفاصيلها تطورت وتجاوزت العموميات السابقة وأسلوب تنميط شخصية الآخر من خلال توهّمات تتخيل صورة هذا الآخر، من الصعب إذا أن نلخص هذه الظاهرة التاريخية بفقرات نظرية قصيرة، فهي حقول معرفة، وتاريخها يعكس علاقة الوافد ووعيه للآخر، وفي الآن عينه يعكس علاقة المتلقي واكتشافه للقادم، لذلك لا يمكن حصر الاستشراق في نصوص مدرسية، لأنه تأسس تاريخيا في سياقات معرفية متضادة في أصولها وروافدها، نختار هنا ثلاثة نماذج كتبت في فترات زمنية مختلفة، لكنها تعطي فكرة عن عصر كاتبها ونظرته إلى الأمور ومراقبته للحوادث واندهاشه باختلاف الآخر.

الفصل الثاني

أثر الاستشراق في الفكر العربي

الفصل الثاني

أثر الاستشراق في الفكر العربي

تمهيد:

لقد حظي الفكر الإسلامي عامة بعناية المستشرقين، والباحثين الغربيين، فأفرد عدد كبير منهم جهده وطاقته وبحوثه لدراسة جوانب متعددة من تراثنا الروحي والفلسفي، وكانت أحكام هؤلاء المستشرقين وآراؤهم محل قبول وإعجاب وتقديس من بعض الباحثين المحدثين العرب، ومحل رفض واستهجان ونقد من بعضهم الآخر.

ولهذا فإن الواقع الذي لا يمكن تجاهله هو تأثيرات الاستشراق القوية في الفكر العربي الحديث سلبا وإيجابا.

وقد تطرقنا في المبحث الأول إلى الاتجاه الفكري للمستشرقين وأهم رواد الاستشراق متضمنا مطلبين، المطلب الأول عن الاتجاه الفكري للمستشرقين والمطلب الثاني: أشهر إنتاجاتهم الفكرية، أم المبحث الثاني فكان بعنوان أبرز المستشرقين بين الإنصاف والتشويه، كذلك فيه مطلبين الأول، أخطر المستشرقين المتعصبين، والثاني حول المنصفين منهم، وفي آخر مبحث درسنا أثر المستشرقين وإنتاجهم على المفكرين العرب بعنوان مواقف العلماء المسلمين ومفكري العربية من حركة الاستشراق وطروحه، متطرقين إلى ثلاثة مواقف مختلفة في ثلاثة مطالب جاءت كالتالي:

موقف الإعجاب والقبول، موقف الرفض والتشكيك والموقف العربي المنصف.

المبحث الأول: الاتجاه الفكري للمستشرقين وبعض من إنتاجهم

برزت الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات العربية والإسلامية لأغراض تبشيرية دينية واستعمارية مادية ركزت على القرآن والسنة والتراث العربي حتى تخطى الإنتاج الفكري في هذا المجال ألفي عمل بين كتاب ومقالة ومحاضرة وحديث في المجالات الثقافية، فانقسمت المواقف العربية اتجاه هذا الإنتاج الضخم بين معجب ومواجه وموضوعي.

المطلب الأول: الاتجاه الفكري للمستشرقين

كان جلّ اهتمام المستشرقين في دراستهم للإسلام وكل ما يتعلق به بقصد الطعن فيه والتشكيك في مصداقيته.

1- الدراسات الإسلامية:

تنوعت الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات الإسلامية عامة وبالدراسات القرآنية والتفسير بصفة خاصة، وكذا جهود المستشرقين في حفظ وتصنيف المخطوطات الإسلامية... وتحقيق ونشر كتب التفسير والقرآن الكريم¹⁹⁴، والتي تنشر في مؤتمراتهم ودورياتهم الكبرى، ولا بد أن نشير إلى مجموعة من المستشرقين المتمرسين أمثال: بروكلمان، وجب، وبرنارد لويس، وغيرهم، الذين استوعبوا في دراستهم الكليات في مجرى التاريخ الإسلامي¹⁹⁵. ثم انتقلت العناية إلى دراسة الأمم الإسلامية في نهضتها الحديثة وما ينشأ فيها من حركات تجديدية وإصلاحية، وإلى مقدار تأثير التعاليم الإسلامية الأصيلة في تفكير الشعوب الإسلامية المعاصرة¹⁹⁶.

- الدين الإسلامي كعقيدة:

قدم المستشرقون سيرة الرسول ﷺ وفق ما جاء بكتب السيرة والتاريخ من تراثنا العربي، ثم بدؤوا بالمزاوجة بينه وبين ما ورثوه من عهد اللاهوت المضاد للإسلام، كما تناولوا القرآن على شكل ترجمات إلى لغاتهم أو تفاسير، وهذا ما قادهم إلى دراسة العقيدة والاتجاهات المختلفة لعلم الكلام¹⁹⁷ والتصوف¹⁹⁸. ويقف المستشرقون

¹⁹⁴ محمد بن سعيد السرحاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 22، العدد 70، 2007، ص 123.

¹⁹⁵ فاروق عمر فوزي: مرجع سابق، ص 39.

¹⁹⁶ زكريا هاشم زكريا: المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1965، ص 168.

¹⁹⁷ فاروق عمر فوزي: مرجع سابق، ص 39.

¹⁹⁸ والكثرة الغالبة من المستشرقين وفي مقدمتهم "ماسينيون" فيُرجح كلمة الصوفية إلى كلمة "سوفيا" اليونانية ومعناها الحكمة، فعندما فلسف المسلمون عقائدهم ودينهم - على حدّ قول المستشرق: سمي هؤلاء الفلاسفة صوفيين- أي حكماء اليونانية. (أنظر، زكريا هاشم زكريا: آراء فلاسفة وعباقة الغرب في الإسلام، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر، 2000، ص 138).

المعاصرون عند نصوص معينة من القرآن يتخذون من فهمهم الخاطئ فيها دليلاً على أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم استقى تعاليمه من الكتابين، وليس فيها دليل على ما يريدون، ومن ذلك الآية الكريمة: "يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا"¹⁹⁹. قال المستشرق الإنجليزي ألفرد جيوم، وتابعه آخرون: أنّ محمداً كان دارساً مبتدئاً للكتاب المقدس، فظنّ أنّ مريم أمّ عيسى عليه السلام هي مريم أخت هارون، مع أنّ بين عيسى وهارون زمناً طويلاً²⁰⁰.

– الإسلام كشريعة:

في هذا المجال نجد هناك اتجاهين: اتجاه يسائر الحاجة للاستشراق في عصر اللاهوت المضاد للإسلام، وآخر يتفق وعصر الاستعمار المضاد للعروبة وحركات النهضة الإسلامية²⁰¹. إنّ بعض فصول السيرة مكتوبة بأسلوب الأساطير فمن الخطأ تأويلها كما هي بحرفها، ولكن تحييصها بأساليب الغرب خطأ أعظم... هذه حقيقة يجدر بمستشريقي العصر جميعاً أن يضعوها نصب أعينهم فإنها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حدّ الطاقة ليتوصلوا إلى نتائج مغلوطة بالتأكيد²⁰².

– التاريخ العربي الإسلامي

ركّز المستشرقون همهم ووجهوا دراساتهم إلى كتب التاريخ وبيان أصولها ومصادرها وأحداثها، والذي يرمي إليه بعضهم تقديم صورة مشوهة عن المجتمع الإسلامي، اجتماعية وسياسية واقتصادية²⁰³. يقول الدكتور محمد البهي: "ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ افلامى، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية"²⁰⁴.

يقول جولد تسيهر: "فكل تيار فكري بارز في مجرى التاريخ الإسلامي، زاول الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس، وإلى اتخاذ هذا النص سنداً على موافقته للإسلام، ومطابقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقاماً، وسط هذا النظام الديني، وأن يحتفظ بهذا المقام"²⁰⁵.

2- اللغة العربية وآدابها:

¹⁹⁹ القرآن الكريم، سورة مريم الآية 18.

²⁰⁰ عبد الجليل شلي: الإسلام والمستشرقون، د ط، دار مطبوعات الشعب، مصر، 1977، ص، ص 28، 29.

²⁰¹ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق، ص، ص 39، 40.

²⁰² عمر فاخوري: آراء غربية في مسائل شرقية، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1925، ص 142.

²⁰³ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق، ص، ص 39، 40.

²⁰⁴ محمد البهي: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، المرجع السابق، ص .

²⁰⁵ إجنسس جولد تسيهر: تر عبد الحليم النجار: مذاهب التفسير الإسلامي، تر، عبد الحليم النجار، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1955، ص 3.

درس المستشرقون في هذا الاتجاه أصول اللغة العربية وعلاقتها باللغة السامية، وقاموا بدراسات مقارنة لإظهار الآثار الحامية والسامية المتداخلة في أصول اللغة العربية. ولذلك اتجه بعضهم لدراسة فقه اللغة وقواعدها وعلم العروض... فيدرس اللهجات المحلية والإقليمية وبيان الفولكلور على أنه إرث قابل للنمو ليحل محل الخصائص العامة المشتركة في مقومات العروبة والإسلام²⁰⁶. والمستشرقون سيظلون في حاجة إلى العربية ما دامت لهم أهداف ومصالح من أي نوع تنصيريا كان أو اقتصاديا... أو سوى ذلك وإنك لتلمس مظاهر هذه الحاجة في المشاريع اللغوية (كتأليف المعاجم العربية الأوروبية وبخاصة ما يخدم مجال الإعلان والتجارة) التي تدعمها الشركات الأوروبية وتقوم بها المعاهد اللغوية التي تمولها الحكومات... وفي الكتب والنشرات والمجالات التنصيرية التي تغذيها الكنائس الأوروبية²⁰⁷.

المطلب الثاني: بعض من أخطر إنتاجهم الفكري:

ومن الأبحاث والمؤلفات الإستشراقية الخطيرة المشوهة للإسلام، والشائعة الانتشار أو لها شبهة حجية عند المسلمين:

- "دائرة المعارف الإسلامية"، صدرت بعدة لغات حية ويعاد طبعها في الوقت الحاضر، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل.
- "حياة محمد" من تأليف سيروليام موير.
- "الإسلام" من تأليف ألفرد جيوم.
- دين الشيعة من تأليف د.م. دونالدسون.
- "الإسلام" ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس²⁰⁸.
- القرآن مفسرا للمستشرق الإنجليزي "لأربري".
- التطور التاريخي للقرآن "إدوارد سيل".
- تاريخ القرآن للمستشرق "بوتيه".
- تاريخ النص القرآني "للمستشرق الألماني نولدكه"²⁰⁹.
- التطورات المبكرة في الإسلام. بالإنجليزية من تأليف د.س. مرجليوث.
- الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام، ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسينيون.

²⁰⁶ فاروق عمر فوزي: المرجع السابق، ص، ص 39، 40.

²⁰⁷ إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ط2، دار حنين، الأردن، 1992، ص

57.

²⁰⁸ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، المرجع السابق، ص 550.

²⁰⁹ محمد بن سعيد السرحاني: المرجع السابق، ص 124.

— دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية، بالانجليزية من تأليف فون جرونباوم²¹⁰.

ومن اهتمامهم بكتب وتفسير الفرق المنحرفة ومؤلفاتهم في هذا الجانب:

— كتاب شرح المعتزلة للقرآن للمستشرق الإيطالي جويدي.

— القرآن في نظر الإسماعيليين للمستشرق الروسي سيمينوف.

— تفسير القرآن واللغة الصوفية للراهب اليسوعي "نويا".

— ويبقى الأكثر شيوعاً كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المجري جولد تسبهر²¹¹.

وغيرها ما لا يمكن حصره هنا.

وعلى ضوء ما سبق فقد أسهم المستشرقون من حيث (الكم والحجم) ونسبته إلى عملنا، أما من حيث اتجاهاتهم الفكرية التي يمثلها ويكشف عنها اختيارهم، فقد أجرينا دراسة إحصائية لذلك (أنظر الملحق رقم 01)²¹².

ولا تختلف الاتجاهات كثيراً بالنسبة لما هو منشور في (ذخائر التراث)، حيث تتوزع الكتب كما هو مبين في (الملحق رقم 02).

ولعل هذه النتائج ليست في حاجة إلى نظر وتأمل فهي تنطق باتجاهات القوم في النشر بوضوح، وتكشف عن أهدافهم بجلاء فالتصوف والفلسفة وعلم الكلام (وهو الاتجاه الأول عندهم) ليعرفوا السلوك والفكر والعقيدة ومناحي آراء العربي وحقيقة فكره وخفايا ومكامن عقيدته وخفايا قلبه ليستغلوا ذلك في التأثير عليه والتحكم فيه.

فهذا الولوع العجيب بدراسة هذه العلوم ونشر مؤلفاتها لا تفسير له إلا في ضوء أهدافهم، فهم يتعرفون على هذا اللون من الفكر ويتبعون شطحاته وانحرافاته، و كيف تقعد الناس عن الجهاد يرون كيف يقوم لهم هذا - إذا روجوه- بمهمة أكبر من مهمة الجيوش، إذ يشل حركة الأمة ويقعدها عن المقاومة بل يزبن لها الاستسلام²¹³.

ومن أراد دليلاً على ذلك، فلينظر في تاريخ الجزائر، ليرى كيف قاوم (الطّقيون) المتصوفون حركة ابن باديس (الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية)، وهي حركة دينية إسلامية واعية داعية لحفظ الذات والهوية والوقوف في وجه فرنسة، وكيف كان لدراسات المستشرقين ومطبوعاتهم أثر في التوجيه الاستعماري الخبيث للطرفين، واستخدامهم ضد المجاهدين والوطنيين وقد أكد على هذا المعنى أستاذنا الدكتور محمود قاسم حين قال: "إن الاستعمار الفرنسي للجزائر استطاع بجبروته وتعسفه أن يفرض لغته على كثير من المثقفين في الجزائر وشمال إفريقيا،

²¹⁰ إسماعيل محمد علي : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل لعملي لدراسة الاستشراق، المرجع السابق، ص، ص 80، 81.

²¹¹ محمد بن سعيد السرحاني: المرجع السابق، ص، ص. 124، 125.

²¹² عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، ط3، الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، قطر، 1992، ص 15.

²¹³ عبد العظيم الديب: المرجع نفسه، ص، ص 16، 17.

غير أنه لم يستطع أن ينال كثيرا من العقيدة الإسلامية رغم ما بذله المختصون في شؤون الثقافة من محاولات لفصم العقلية الجزائرية، عن طريق تمجيد التصوف الكاذب، وإشاعة الخرافات والأباطيل. وعلى نحو ما نراه في مؤلفات **لويس ماسينيون**، وأعتقد أن **ماسينيون**، ما كان يعنى بالحلاج قدر عنايته بمخطط استعماري، فقد ملأ كتابه الضخم عن الحلاج بحشد هائل من الخرافات والترهات والأباطيل، حتى يعمق الهوة بين طائفتين في الجزائر: طائفة تتمسك بالقديم فتتناسق حسب ظنه، إلى اعتقاد أن هذه الخرافات هي من صميم الإسلام، وطائفة مثقفة بالثقافة الحديثة تتجه من جانبها إلى السخرية والزراية بهذا الإسلام الخرافي، بل من الإسلام كله".

ومن أراد دليلا آخر فليُنظر في تاريخ السودان، وكيف حاولوا أن يمزقوه طوائف وفرقا (وطرقا) وكان أن تقدم أحدهم، وأعلن إسلامه وتسمى باسم الشيخ أمين، ولبس ملابس شيوخ الطرق، وعاث في عقول الناس فسادا وإفسادا، ثم هال عليهم أن طلع عليهم ذات صباح في صحبة (**غوردون**) قائد جيش الاحتلال الذي استدعته إنجلترا ليخمد ثورة السودان سنة 1885²¹⁴.

المبحث الثاني: أبرز المستشرقين بين الإنصاف والتشويه

ومن المستشرقين من ساروا على طريق الطعن والإدانة، بكتابات حاقدة، بعيدا عن المنهج العلمي، ومنهم من عرفوا الإسلام معرفة خاصة، فكانوا له منصفين أو اتَّبَعُوا دين الإسلام عن قناعة، فكانوا به مسلمين.

المطلب الأول: أشهر المستشرقين المتعصبين

إنَّ ألفرد جيوم وماسينيون وغيرهما مثلا كانوا أعضاء في أكثر من مجمع عربي وإن أفكارهم عن العربية والإسلام كانت تحاول أن تجد لها طريقا في أية مؤسسة فكرية، في العراق وسورية ومصر والمغرب العربي.

1- لويس ماسينيون: ولد سنة 1883 في إحدى ضواحي باريس، التحق "بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية"²¹⁵ والتي لا تزال حتى اليوم في مكانها، بدأ استشرافه حين شارك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر 1905²¹⁵، حيث تعرف على جول تسيهر. ألحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، أقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق والأستانة، معظم الدراسات المتعلقة بالتصوف الإسلامي في دائرة المعارف بقلمه. حصل على دكتوراه برسالة عن آلام الحلاج من السوربون 1922، آثاره تربو عن 650 أثرا، له كتاب الإسلام اليوم صدر في عام 1943، ترجمة القرآن صدر في عام 1950²¹⁶، عُرف كأكبر مستشرق فرنسي معاصر، وهو مع ذلك

²¹⁴ عبد العظيم الديب: المرجع نفسه، ص، ص 17، 18.

²¹⁵ عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964، ص، ص 9، 10.

²¹⁶ نجيب العقيقي: المستشرقون، ج3، مرجع سابق، ص، ص. 263، 264.

كان مستشار المستعمرات الفرنسية في شؤون إفريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، وكان عضوا بالجمع اللغوي المصري، والجمع العلمي العربي بدمشق²¹⁷.

2- أ. ج. أربري: ولد في ماي 1905، درس في "برشوت" في جنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته وهو لامنس على دراسة العربية والفارسية، إرتحل لمصر لمواصلة دراسته للغة العربية،²¹⁸ برز في التصوف الإسلامي والأدب العربي، معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محرري "دائرة المعارف الإسلامية" والآن أستاذ بجامعة كامبريدج ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا من الدراسات الإسلامية اللغوية في إنجلترا ومن كتبه: "الإسلام اليوم" صدر في 1943، وكتاب "مقدمة لتاريخ التصوف" في 1947، كتاب "التصوف" وكتاب "ترجمة القرآن" صدرا عام 1950²¹⁹.

3- جب هاملتون (1925): هو أكبر مستشقي إنجلترا المعاصرين، وقد سبق تعريفه.

4- هنري لامنس اليسوعي (ربما 1862-1937): مستشرق بلجيكي، الذي كان يعمل من 1822-1908، ثم مرة أخرى منذ 1920 في جامعة القُدّاس يوسف في بيروت. وقد حاول هو أيضا مدفوعا بنقد جولد تسيهر للحاديث الصحيحة أن يقدم الدليل على أن الروايات التاريخية لإسلام تدين بوجودها للجامعات والأحزاب المتنازعة بعضها مع بعض²²⁰. وراهب يسوعي شديد التعصب على الإسلام، قضى معظم حياته في لبنان، في دير لليسوعيين، كتب في السيرة النبوية، له كتاب عن مهد الإسلام، وكتاب هل كان محمد أمينا .. تحمل فيها على السيرة وزعم أن الحديث موضوع لا يعتمد عليه. أما في الدراسات الإسلامية فله كتاب الإسلام عقائد ونظم دَسَّ فيه كل سمومه وهو عرض سطحي للعقائد الإسلامية²²¹.

5- جوزيف شاخت (1902-1943): ألماني من أشد المتعصبين للإسلام، اشتهر بدراسة التشريع الإسلاميين من المساهمين في دائرة المعارف الإسلامي، له كتابا المدخل إلى الفقه الإسلامي، أصول الشريعة المحمدية²²².

6- جولدتسيهر (1920): مجرّي يهودي عرف بعذائه للإسلام، من أشهر كتبه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي مرجع للعربية، وهو من محرري موسوعة دائرة المعارف، كتب عن القرآن والحديث، نشر ديوان الخطيئة، أعرض عن كل ما دون في تاريخ أبي حنيفة تدويننا عليما ثابتا، متخيلا أن السنة النبوية من صنع المسلمين.²²³

²¹⁷ إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، د ط، مكتبة الوعي العربي، 1964، ص، ص 73، 74.

²¹⁸ محمد قدور تاج: المرجع السابق، ص 76.

²¹⁹ محمد بدوي: موسوعة المستشرقين، المرجع السابق، ص 5.

²²⁰ يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، المرجع السابق، ص 452.

²²¹ سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص، ص 174، 175.

²²² يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص 717.

7- ألفريد جيوم: الإنكليزي والمولود عام 1888 **A.Guillaume** المجمعي في دمشق (1948) فالجمع العراقي (1949). ويبدو من آثاره ميله الشديد لليهود واليهودية، مثل محاضراته في اللغة العبرية في المعهد الملكي بلندن (1920) وأثر اليهودية في الإسلام (1927) واليهود والعرب (1946)، كما يبدو من مؤلفاته الأخرى روح التعصب ضد الإسلام، وذلك بالروح التبشيرية التي شاعت في معظم دراساته، وفي مقدمة كتبه الخطيرة: حياة محمد، والإسلام، اللذان يقوموا على فكرة رئيسة واحدة وهي: أخذ الرسول صلی الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل عند تأليفه للقرآن²²⁴.

المطلب الثاني: المستشرقون المنصفون

ومن المستشرقين المنصفين في تناول مصادرنا، ضمن المنهج العلمي الموضوعي:

1- يوهان رايسكه الألماني (1716-1774): الذي اتهم بالزندقة لمنهجه الإيجابي من الإسلام²²⁵. أول متخصص مشهور في اللغة العربية أنجبته ألمانيا²²⁶ القرن الثامن عشر الميلادي عبقرًا فذاً في اللغة العربية، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا، لكن رجال عصره تجاهلوه وحاربوا رجال اللاهوت، بعد أن اتهموه بالزندقة²²⁷، فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية، ورفض وصف النبي صلی الله عليه وسلم بالكذب والتضليل، وقد جرَّ عليه ذلك ويلات كثيرة طول حياته، ومات بائساً وهو في الثامنة والخمسين من عمره²²⁸.

2- ألفونس إيتان دينيه (1861-1929): مستشرق فرنسي، اعتنق الإسلام وتسمّى بناصر الدين²²⁹ عام (1927)، قصد الجزائر فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام، وابتنى بها قبراً، وحجَّ إلى بيت الله الحرام عام 1928، وله كتب بالفرنسية: حياة العرب، وحياة الصحراء، والشرق في نظر الغرب،²³⁰ وهو ممن

²²³ محمد بدوي: موسوعة المستشرقين، المرجع السابق، ص، ص 197، 203.

²²⁴ نذير حمدان: المرجع السابق، ص 231.

²²⁵ شوقي أبو خليل: الحوار دائماً وحوار مع مستشرق، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، 1994، ص 127.

²²⁶ يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، المرجع السابق، ص 207.

²²⁷ عبد المعبود مصطفى سالم: المرجع السابق، ص 169.

²²⁸ إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، المرجع السابق، ص 45.

²²⁹ فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 71.

²³⁰ نجيب العقيلي: المرجع السابق، ط4، ج1، ص 228.

أدى بهم البحث الخالص إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، وألّف مع كاتب جزائري²³¹ عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وله كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام" بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق في فرنسا، ونُقل جثمانه إلى الجزائر ودُفن فيها²³².

3- أنا ماري شيميل (1922-2003): مستشرقة ألمانية، وأستاذة للثقافات الإسلامية والهندية في جامعتي هارفرد ويون، لها العديد من المؤلفات والترجمات عن اللغات الشرقية²³³، بدأت دراسة اللغة العربية ولم تكن قد تجاوزت الخامسة عشرة من عمرها. وتعرفت على المصادر العربية أصول الحضارة الإسلامية. نالت شهادة الدكتوراه عام 1941، ثمّ درجة الأستاذية عام 1946، ثم سافرت إلى تركيا وقامت بالتدريس في أنقرة عام 1954، وذلك بكلية الشريعة الإسلامية²³⁴، درّست في "هارفرد" من 1967 إلى 1992. وحصلت على أعلى وسام استحقاق من دولة باكستان. أعملها محمد ورسوله، تقدير النبي في التقوى الإسلامية، فكّ شفرة علامات الله: مقارنة ظاهراتية للإسلام²³⁵.

تشكو أنا ماري مرّ الشكوى من عدم اكتراث العرب بما يحدث في الدول الإسلامية الغير العربية، تصدر كتابها سنة 1994، بعنوان "إن الله جميل يحب الجمال" "Gott ist schon und er liebt die Schonheit"، وألقت أكثر من ألف محاضرة، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة²³⁶.

4- زيغريد هونكه: مستشرقة ألمانية طائفة الشهرة، أحبت العرب ومازالت، كتابها الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب"، الذي تقول عنه: صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطني فرصة

العودة إلى تكرمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرّمهم من سماعه طويلا تعصّب ديني أعمى أو جهل أحمق²³⁷.

²³¹ صيّف بمعاونة سليمان بن إبراهيم: "محمد في السير النبوية" (نشر بالفرنسية والإنجليزية مزودا بصور ملونة من ريشة ناصر الدين، وترجمه إلى العربية عبد الحليم محمود. (أنظر: نجيب العقيلي: المرجع نفسه، ط4، ج1، ص 228)

²³² مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص- ص 25-33.

²³³ أنا ماري شيميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة، محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، (ألمانيا)- بغداد، 2006، الصفحة الثانية بعد الواجهة.

²³⁴ محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، أعدّه دكتورة إيمان سعيد جلال، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 269.

²³⁵ أنا ماري شمل: روعي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، تر، لميس فايد، ط1، الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، في غلاف الكتاب.

²³⁶ يوحنا كريستوف بيرجل: أنا ماري شيميل نموذج مشرق للاستشراق، ترجمة، ثابت عيد، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1998، ص- ص 13-31.

²³⁷ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، ترجمة فاروق بيوض وكمال دسوقي، ط 8، دار الجليل، بيروت، لبنان، د س، ص 9.

5- شخصية سلفستر دو ساسي: ²³⁸ الذي يرجع إليه الفضل في جعل فرنسا مركزا للدراسات العربية ²³⁹. بيد أنه ربط في الحال المهمة العلمية بالهدف العلمي، وهي التعريف بنصوص قيّمة من كنوز مخطوطات مكتبة باريس وإعدادها، وهكذا ضم كتابه مختارات عربية منتخبات غنية لمؤرخين كالمقرئزي، وجغرافيين متأخرين، ومن مقامات الحريري ²⁴⁰. وبما أنه من الباقيين بعد العصر الثوري، يحرص على الابتعاد عن الميدان السياسي (دفع إلى إدراج نداء بونايرت بمصر في مؤلفه «مقتطفات عربية Chrestomathie arab» وتبين أنه مترجم إعلان الاستيلاء على مدينة الجزائر في 1830)، ولكنّه في المقابل من الأدلاء للشرقيين الأوائل في فرنسا من مثل رفاعة الطهطاوي ²⁴¹.

6- ومنهم أيضا المستشرق عبد الكريم جرومانوس وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند، ولد سنة في مدينة بودابست عاصمة المجر، سنة 1885 وتوفي سنة 1979، أجاد اللغة العربية وكان يتمنى أن يعيش مائة سنة لفهمها، كان عضوا في المجمع اللغوي في القاهرة، أحب الإسلام واللغة العربية وخدمهما، ألف أكثر من مائة وخمسين كتابا عن الإسلام، منها: - الله أكبر؛ - الحركات الحديثة في الإسلام؛ - شوامخ الأدب العربي؛ - معاني القرآن ²⁴². وكان بناؤه الفكري مزيجا من الثقافة الإسلامية والغربية، فإن جدية دراساته وعمق إنتاجه تغري الناقدين والعلماء وذلك وفق منهجهم في قبول الفكر الرصين الموضوعي ورفض الشوائب الأخرى ²⁴³.

7- فرانثيسكو غابرييلي: المولود سنة 1904، كبير أساتذة اللغة العربية في جامعة روما، انتخب عضوا مراسلا في المجمع العربي بدمشق 1948، عن 1964 ²⁴⁴، درس على يد كبار المستعربين أمثال: جويدي، وتخرج عام 1925، بدأ بتعليم العلوم الإسلامية والأدب العربي في المعهد بجامعة نابولي عام 1938، حصل على كرسي في جامعة المعرفة بروما، وفي عام 1955 درّس في جامعة الجزائر أستاذا زائرا، منح لقب دكتوراه فخرية من جامعة السوربون الجديدة بباريس. ظل مثالا للعطاء الفكري والالتزان العلمي، والتواضع الإنساني، توفي عام 1996.

²³⁸ دي ساسي شيخ المستشرقين الفرنسيين، ولد في باريس في 21 سبتمبر 1758م، تعلم العربية في سن الثانية عشر، ثم أتقن اللغات الأوروبية فتعلم الإنجليزية، والإسبانية والإيطالية، و في سنة 1781م عين مستشارا في ديوان النقود، تعلم العربية في مدرسة اللغات الشرقية، ثم مدرسا لها سنة 1796، شغل كرسي العربية من 1799 إلى 1819م، قام بتأليف كتاب "النحو العربي لاستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية"، منحه نابليون لقب بارون **baron** في 1814م، توفي 21 فيفري 1838م. تمثلت كتبه في: مقامات الحريري، الإفادة والاعتبار بما في مصر من آثار، كلية ودمنة تحقيق 1816، ترجمة فصول من كتاب روضة الصفاء. (أنظر، عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، المرجع السابق، ص-ص 334-339).

²³⁹ شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 127.

²⁴⁰ يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، المرجع السابق، ص 254.

²⁴¹ يوسف كراج، مفرد كربوب وآخرون: تأملات في الشرق تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، تر: محمد صبح وعدنان حسن، ط1، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، ص، ص 54، 55.

²⁴² عبد الرحمان حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق - الاستعمار المرجع السابق، ص 133.

²⁴³ نذير حمدان: المرجع السابق، ص 231.

²⁴⁴ محمد أحمد محمد فرح عطية: طه حسين والفكر الاستشراقي، ط1، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2014، ص 120.

والمستشرق حسب وجهة نظر فرانثيسكو، هو إما مكتشف طليعي يسبق الاستعمار ويمهد له الطريق، وإما حليف ومستشار تقني للتاجر الأوروبي أو للمشتغل الغربي، يتميز فكره بالتححر والصدق والإطلاع الواسع، والفهم السليم للعرب، وتقدير مقامهم في الماضي والحاضر، وقدم للقارئ الإيطالي عددا من فرائد الأدب العربي والإسلامي.²⁴⁵

المبحث الثالث: مواقف العلماء المسلمين ومفكري العرب من حركة الاستشراق وطروحه

الآراء تأتي متناقضة في العالم الإسلامي حول الاستشراق، فالذين كتبوا عن الاستشراق لا تخلو كتاباتهم من التأييد والتمجيد بل الحمس له إلى أقصى حد أم من الرفض جملة وتفصيلا²⁴⁶. وقد تعددت مواقف الكتاب والباحثين من جهود المستشرقين، وذهب بعض الباحثين إلى تقسيم تلك المواقف إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي: موقف القبول المطلق، وموقف الرفض المطلق وموقف المواجهة الإيجابية، وذلك في محاولة لإبراز جهود المستشرقين ودراساتهم²⁴⁷. وتكونت مدارس إصلاحية:

- **مدرسة متأثرة بالغرب** معجبة بحضارته داعية إلى الاقتباس من فكره، وتبنت الفكر الإستشراقي وأعلنت عداها للتراث العربي والإسلامي وطالبت بتحديث الفكر العربي والتصدي للتراث بالنقد والتجريح²⁴⁸. ولقد أدى هذا التيار

- **الحداثة** - بالمسلم إلى أن أصبح غريبا عن جسده وأهله وتاريخه وثقافته ومصيره الخاص، فما يطلبه أنصار هذا التيار من العالم الإسلامي هو نقل منوال التطور في الغرب بحذافيره.. أي العودة إلى الوراء نحو قرن ونصف²⁴⁹.

- **ومدرسة إصلاحية رافضة للغرب** مشككة في مهمة المستشرقين في دراستهم للتراث العربي الإسلامي مواجهة المدرسة الاستشراقية، كاشفة لها²⁵⁰.

المطلب الأول: موقف الإعجاب والقبول

وهذا التوجه نحو قبول إسهامات المستشرقين يعد أول المواقف الثلاثة بروزا، إذ أنّ بداية النهضة في مصر وسوريا قد اتكأت على مجموعة من المفكرين والأدباء الذين تلقوا علومهم عن الغرب إما بالابتعاث أو بالمتابعة،

²⁴⁵ محمد القاضي: فرانثيسكو غابرييلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، دار الفیصل الثقافية، العدد 314، الرياض، المملكة العربية السعودية، أكتوبر/ نوفمبر 2002، ص- ص 117-119.

²⁴⁶ محمد مجاهد الدين: المستشرقون والحديث النبوي، ط1، دار النفائس، القاهرة، 1999، ص 287.

²⁴⁷ فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 64.

²⁴⁸ فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 2012، ص 37.

²⁴⁹ روجيه جارودي: لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، إعداد، محمد عثمان الحسن، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، 1986، ص

84.

²⁵⁰ فاروق النبهان: المرجع السابق، ص 37.

ويتسم هذا الموقف بالتأثر المباشر والقوي بالمعلومات الواردة عن المستشرقين²⁵¹؛ في الجامعات العربية في مصر والشام والعراق، وصاروا أعضاء في المجامع العربية العلمية واللغوية، لاسيما في دمشق والقاهرة وبغداد، يشاركون في صنع القرار اللغوي والفكري، ويقدمون أبحاثهم اللغوية والفكرية²⁵².

أما تطور النشاط التنويري في تونس فيعود إلى منتصف الثمانينات عندما عادت إلى البلاد المجموعة الأولى من خريجي مدرسة الصادقية التي كان قد أرسلها الباي إلى فرنسا لاستكمال تعليمها. وتأسست سنة 1905 جمعية "خريجي الصادقية" والتي كان هدفها الرئيسي يكمن في نشر الثقافة الفرنسية والتعليم الأوروبي. وكان اتجاهها موالاة فرنسا، ثم فقدت بسرعة هويتها الأولى وأحس رجال الجمعية بالإنفراد والعزلة الكاملة عن الشعب، عندئذ أخذت تدعو إلى إحياء الثقافة العربية واللغة العربية والاستقلال العربي²⁵³.

ويمثل هذا الموقف الباحثون المعجبون بما بذله المستشرقون من جهود في دراسة لغات الشرق وثقافته، والمفرطون في الثقة في دراسات المستشرقين والاعتماد عليها، وقد بالغ هؤلاء في موقفهم الإيجابي من الاستشراق²⁵⁴. فتبنى أبناء العربية والإسلام أفكار المستشرقين وتلقفوها متأثرين بهم، وتمت الاقتباسات الطويلة من إنتاجهم بلغاتهم، وصلت إلى نقل إنتاجهم العلمي وترجمته إلى اللغة العربية، ومن ثم نسبة جزء كبير منها إليهم، وربما انتحاله²⁵⁵. ويقول محمد أبو شهبه: "ومما يؤسف له أن بعض الذين يثقون بكل ما يرد عن الغربيين من آراء ومذاهب قد تلقفوا هذه الشبهات والطعون... وبعض هؤلاء المتلقفين كانوا أشد من المستشرقين والمبشرين هوى وعصبية وعداءا لللسنة وأهلها. كما صنع؛

- الشيخ محمود أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)، فحرص أشد الحرص على أن يظهر السنة بمظهر التحريف والتبديل والسداجة والتخريف²⁵⁶ ونشر فيه مزاعم واتهامات وتجاوز الحدّ حول الحديث، وأخذ يخلط بين كل ما قاله من سبقه من المستشرقين ومن سار على طريقهم من المسلمين. فجاء كتابه مزيجا من مختلف الآراء والأفكار التي قيلت للتشكيك في الحديث النبوي كمصدر للتشريع الإسلامي²⁵⁷. فيقول: "وتبين لي أنّ مايسمونه في اصطلاحهم حديثا "صحيحا" إنّما كانت صحّته في نظر رواته، لا أنّه صحيح في ذاته، وأنّ ما يقال عنه "متفق

²⁵¹ علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 18.

²⁵² علي بن إبراهيم النملة: نقد الفكر الإستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، المرجع السابق، ص، ص 25، 26.

²⁵³ منصف بوزفور: المرجع نفسه، ص، ص 377، 379.

²⁵⁴ فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 65.

²⁵⁵ علي بن إبراهيم النملة: نقد الفكر الإستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط 1، الرياض، 2010، ص، ص 25، 26.

²⁵⁶ محمد بن محمد أبو شهبه: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا، مكتبة السنة،

القاهرة عابدين، 1989، ص، ص 8، 9. بتصرف

²⁵⁷ محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص 270.

عليه" ليس المراد أنه متفق على صحته في نفس الأمر، وإنما المراد أنّ البخاري ومسلم قد اتفقا على إخراجهم، وليس من شروط الحديث الصحيح أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر لجواز الخطأ والتسيران والسهو على الثقة²⁵⁸.

- **نجيب العقيقي:** وهو من أشهر أصحاب هذا الموقف، الذي ألّف كتاباً مستقلاً يترجم فيه للمستشرقين، وفاءً لبعض دينهم علينا. فقد شُغلوا بنا عشرة قرون في جميع أصقاع الأرض وبسائر اللغات، وتناولوا جميع ما للشرق من دين وحضارة وثقافة، بألوف المصنفات -على حدّ قوله-²⁵⁹. والذي يقول عن دور المستشرقين الإيجابي في النهضة الحديثة: "كانوا من واضعي أساس النهضة الحديثة، والمساعددين في ازدهارها، وعنهم أخذ كبار القادة فينا، فكان أقوى ما نشره في الحقبة الأخيرة وأوفاه وأفضله يمت إلى المستشرقين بسبب²⁶⁰.

ويذهب العقيقي إلى أن الدافع العلمي كان وراء الجهود الاستشرافية في قوله: لم يكن الدافع واحداً للمستشرقين كافة في جميع البلدان خلال ألف عام، بل كانت هناك دوافع متنوعة، متداخلة، متطورة غلب عليها الطابع العلمي²⁶¹.

وقد حاول العقيقي أن يردّ التهمة التي يوجهها علماء العرب، إلى المستشرقين عامة والرهبان منهم خاصة بأنّ هدف استشراقهم الأصلي هو الجدل والتبشير والهدم قائلاً²⁶²: "ولو استهدف الرهبان الجدل والتبشير فحسب لاكتفوا بتعليم اللغة العربية وأهملوا ما عداها من اللغات التي قل أو انقرض المتكلمون بها كالإيونانية القديمة والعبرية والسريانية والكلدانية، وما كلّفوا أنفسهم إنشاء بواكير: مكاتب الترجمة والمعاهد والمكتبات والمطابع والمجلات لحفظ تراثها ونشر ذخائره والتصنيف فيه وترجمته إلى لغات العالم²⁶³.

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم... وكثيراً ما يقول: أن هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين أو فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق.. وهذا أسلوب لا يقوم عليه إلا واحد من أهل التبعية، حتى قال بعضهم: أن طه حسين ليس إلا مستشرقاً من أصل عربي، ولقد كانت أمانته للفكر الغربي ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم²⁶⁴.

²⁵⁸ محمود أبورية: أضواء على السّنة النبوية، أو دفاع عن الحديث، ط6، دار المعارف، كورنيش النيل - القاهرة، 1994، ص 8.

²⁵⁹ فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 65.

²⁶⁰ محمد بماء الدين: المرجع السابق، ص 287.

²⁶¹ نجيب العقيقي: المرجع السابق، ط4، ج3، ص 604.

²⁶² أحمد سمايلوفيتش: المرجع السابق، ص 690.

²⁶³ نجيب العقيقي: المرجع السابق، ط4، ج3، ص 618.

²⁶⁴ علي محمد خريشة، محمد شريف الزبيق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط3، دار الاعتصام، المدينة المنورة، 1979، ص 23.

وأمامنا كتابان لطفه حسين هما (في الشعر الجاهلي، ومستقبل الثقافة في مصر)، وقد أودعهما أخطر آرائه حول الإسلام والمسلمين... فينقاد الانقياد الكامل للقيم الغربية ويتجرّد من كل روح نقدية بإزاء هذه القيم تقريبا في الوقت الذي نراه فيه ينهال على الإسلام (بكتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم) نقدا وتشويها ونفيا للحقائق الثابتة كل هذا من أجل خدمة الاستشراق والدعوة إلى العلمانية في مصر بنبد الدين... والتمسك بكل ما هو أوروبي من عادات وتقاليده وغيرها²⁶⁵.

أما ما جاء في كتابيه مايلي: "كلّ هذا يدلّ على أنّنا في العصر الحديث نريد أن نتّصل بأوروبا اتّصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتّى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى وحقيقةً وشكلاً..." ويقول في موضع آخر "ولم يقف أمرنا عند هذا الحدّ، بل نحن قد خطونا خطوات أبعد جدّاً ممّا ذكرت، فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كلّه أمام أوروبا"²⁶⁶.

"وكيف تتصور أستاذنا للأدب العربي لا يلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشّرق وآدابه ولغاته المختلفة! وإمّا يُلتمس العلم عند هؤلاء النّاس من علومنا وآدابنا وتاريخنا"²⁶⁷.

ولا ريب أنّ هذا الكلام يمثل دورا من أدوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية والحديثة، وهذه العبودية تتمثل في كتاب طه حسين "الأدب الجاهلي" الذي كان ترديدا مخلصا لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والمسلمين أمثال مرجليوث، الذي نقل آراءه كلها في كتابه ذاك... ونسبها إلى نفسه²⁶⁸.

وأعجب ما في طه حسين ولاؤه الشديد لانطواء المسلمين تحت لواء الغرب وانصهار الإسلام في بوتقة الأُمّية والمسيحية واليهودية والغرب جميعا.. فهو لا يرى للعرب والمسلمين سبيلا للنهضة إلا في هذا الانصهار وهذا الاحتواء، وقد صرح²⁶⁹ بذلك في قوله: "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب"²⁷⁰.

²⁶⁵ عبد المعبود مصطفى سالم: موقف مفكري المسلمين من المستشرقين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر 1994، ص 73، 72.

²⁶⁶ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2012، ص 35، 36

²⁶⁷ طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط3، مطبعة فاروق "محمد عبد الرحمن محمد، القاهرة، 1933، ص 11.

²⁶⁸ مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المرجع السابق، ص 10، 11. بتصرف

²⁶⁹ علي محمد خريشة، محمد شريف الزبيق: المرجع السابق، ص 23،

²⁷⁰ طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، المرجع السابق، ص 41.

– **أحمد أمين** : ثمّ جاء دور أحمد أمين ليضرب بأوفر سهم في هذا الميدان مردداً أباطيل جولد تسيهر وغيره من المستشرقين حول الأحاديث النبوية متونها وأسانيدھا ورجالھا ومكانتها التشريعية في الإسلام وذلك في ²⁷¹، كتابه "فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام" وهو إن كان جارياً للمستشرقين في كثير مما زعموا فقد خالفهم في بعض ما حدسوا، وكان عفيفاً في عبارته، مترقفاً في نقده... وشتان ما بين صنيع الأستاذ أحمد أمين، وما بين ما صنع أبو ريّة والفرق بينهما فرق ما بين العالم والمدّعي، والباحث الأصيل والمتعلّق بأذيال الباحثين ²⁷².

– ونستطيع اعتبار **أحمد حسن أمين** مثالا بارزا في الذوبان فيما قرره جهلة المستشرقين وعتاة المبشرين عن الإسلام، وذل كتقريره سقوط الحجاب، وتشكيكه الواضح من الحديث النبوي... ولكنه مع هذا يقف من المستشرقين مبدئياً -موقفاً واعياً- وإن لم يكن مصيباً في الأمثلة التي أعطاهـا- إذ يقسم الكتبـة منهم في السيرة إلى الحاقدين على الإسلام، وإلى المساهمين في حل إشكاليات السيرة، مثل جولزير ومرجليوث كما سبقت الإشارة ²⁷³.

وعقد فصلاً خاصاً فيه عن الحديث، يأتي فيه بأفكار وآراء حوله وهي لا تخرج بمحملتها عن أفكار وآراء المستشرقين، ولكنه دون أن ينسبها إليهم، لحاجة في نفس يعقوب أخفأها، إلاّ أنّه أظهرها لبعض خلانه ²⁷⁴.

– **شبلي شميل**: وعلى الرغم مما حققه الإسلام للإنسانية من حضارة وتقدم إلاّ أننا نرى بعضهم وخاصة الخارجيين من هذا الدين المتنصرين من المسيحيين يعرفون بما لا يعرفون عن الإسلام، أعطاهم حقوقهم كاملة وعاشوا في كنفه ولكنهم تنكروا لهذا الجميل وحملوا حملتهم ضد الإسلام ومن هؤلاء شبل شميل الذي قد قاد شبلي شميل الدعوة إلى العلمانية والدفاع عن الاستشراق ومهاجمة قيم الأديان والأخلاق ²⁷⁵.

وفي نظر **شبلي شميل**: "الإنسان الطبيعي هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة"، وتحدّث عن تعارض العلم والدين وعدم إمكانية التوفيق بين الأفكار الدينية كالبعث والروح والمعجزة والوحي، ونتائج العلم... بل اعتبر أن الدين ليس إلاّ حركة من الإنسان البدائي المرعوب من المجهول... ولهذا اتخذ مبدأً نيتشه وهو أن الإنسان هو الذي خلق الله، وليس الله هو الذي خلق الإنسان ²⁷⁶. في قوله: "وأما اليوم وقد قرر العلم أن الإنسان كسائر الأحياء في الطبيعة ليس فيه شيء غريب عنها لا في مواده ولا في قواه، فصارت الأفكار الدينية القديمة غير صالحة لأن تكون

²⁷¹ محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص 267.

²⁷² محمد بن محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص 8.

²⁷³ لخضر شايب: المرجع السابق، ص 119.

²⁷⁴ محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص 268.

²⁷⁵ عبد المعبود مصطفى سالم: المرجع السابق ص 65.

²⁷⁶ محمد علي البار: العلمانية جذورها وأصولها، ط1، دار القلم، دمشق، 2008، ص ص 14، 15.

نتيجة لازمة للعلم. وصار التوفيق بينها وبينه غير ميسور لها بالعلوم العقلية الفلسفية... ومهما بذل من جهد في ذلك فالعلوم الطبيعية تنفيه²⁷⁷.

ثم يقول: "على أنّ هذه الرجة التي حصلت حينئذ هي المقصودة مني في ذلك الحين لإيقاظ الأفكار من نومها العميق والحركة منهم كانت خير من السكون، ومن منا نحن الشرقيين اليوم أولى لهزة تصل فينا إلى أعماقنا وقد تقادم علينا السبات حتى بتنا في رتبة في صف الأحياء لا هي بالميتة فتدفن جثة هادمة ولا هي بالحية فتبعث بشرا سويا"²⁷⁸.

ومثل طه حسين -والآخرين ممن تم ذكرهم-، في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، حسين فوزي، وزكي نجيب محمود ومحمد عزمي، وعلي عبد الرزاق وغيرهم²⁷⁹...

ويظهر التأثير السلبي بشكل مبالغ، بانحراف التفسير في آيات التشريع، فيدّعي العشماوي -الفقيه الجديد- بعدم وجوب الزكاة، وإنما هي اختيارية كما يزعم.

والزكاة غير الصدقة، فالزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس.. أم الصدقة فإنها ذلك المال الذي كان يؤدي للنبي صلى الله عليه وسلم إعمالا للآيتين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾²⁸⁰، ﴿خُذْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾²⁸¹ "فمصارف الصدقة محددة ومنها نصيب للمؤلفة قلوبهم من غير المؤمنين. ويتولى هذه المصاريف النبي نفسه. أما الزكاة فهي للفقراء، والمساكين يخرجها المؤمن بنفسه، وليس من مصارفها إعطاء المؤلفة قلوبهم أو تحرير الرقاب أو فك أزمة المدينين (الغارمين)"²⁸².

²⁷⁷ شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربي، 2014، ص 14.

²⁷⁸ شبلي شميل: فلسفة النشوء والارتقاء، ط1، دار المارون عبود، بيروت، 1983، ص. د من المقدمة

²⁷⁹ علي محمد خريشة، محمد شريف الزبيق: المرجع السابق، ص 24.

²⁸⁰ صورة المجادلة، الآية 12.

²⁸¹ سورة التوبة، الآية 103.

²⁸² محمد سعيد العشماوي: جوهر الإسلام، ط4، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، 1996، ص 9،

وفي السياق نفسه يدّعي المتنبي الجديد -محمد محمود طه- بأن الزكاة مقدمة يحثنا فيها الإسلام على الوصول إلى الشيوعية المطلقة²⁸³. "والأصل في الإسلام شيوع المال بين عباد الله، فيأخذ كل حاجته... وهكذا جاءت الزكاة ذات المقادير وجعلت ركنًا تعبدية"²⁸⁴.

وله كتاب "الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين"، الذي يحاول أن يتطرق "لموضوع التنوير في الإسلام، وفي ملابسات الإسلام عبر التاريخ"²⁸⁵.

ثم يقول أنّ الإرادة البشرية هي مادة الدّين، بقوله: "إنّ العالم الطبيعي أنشتين، يقف عاجزا حائرا، على عتبة معضلة الجبر والاختيار، ويقول، فيما يحدثنا الدكتور أحمد زكي: "إنّ ديني هو إعجابي في تواضع بتلك الروح السامية التي لا حدود لها، تلك التي تتراءى في التفاصيل الصغيرة القليلة، التي تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة، وهو إيماني العاطفي العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى، حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للإفهام، إنّ هذا الإيمان يؤلف عندي معنى الله"، ونحن بعلمنا التجريبي الروحي نبدأ من حيث انتهى هذا العالم الجليل بعلمه التجريبي المادي²⁸⁶.

وأما حكم الصيام فينصب الشرفي نفسه مفتيا للأمة، إذ يدّعي أن الصوم إنما فرض على العربي فقط، لأنه كما يدّعي مشروط بالبيئة العربية، ولذلك فالصوم بالنسبة للمسلم غير العربي مجرد دلالة وعبرة دينية²⁸⁷.

صوم رمضان مما حثّ عليه القرآن بصيغ مختلفة²⁸⁸: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)﴾²⁸⁹، إلا أنّه ترك الباب مفتوحا لعدم صومه والتعويض عن هذا الصوم بإطعام مسكين أو

²⁸³ محمد بن سعيد السرحاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 22، العدد 70، 2007، ص 158.

²⁸⁴ محمود محمد طه: الرسالة الثانية من الإسلام، ط4، أم درمان، السودان، 1971، ص 151.

²⁸⁵ محمود محمد طه: الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، السودان، 1969، ص 6.

²⁸⁶ محمود محمد طه: الإسلام، ط2، أم درمان، السودان، أوت 1968، ص ص 13، 14.

²⁸⁷ محمد بن سعيد السرحاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 22، العدد 70، 2007، ص 158.

²⁸⁸ عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008، ص 64.

²⁸⁹ سورة البقرة، الآيتين 183، 184.

مساكين، فلم يتم تأويل الآيات المتعلقة به، وخاصة قوله²⁹⁰ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ﴾ تعالى "﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾"²⁹¹.

ويحرم بورقيبة الرئيس السابق صوم رمضان على الشعب التونسي المسلم بدعوى أن الصوم ، إذ يدّعي يقلل الإنتاج، ويعوق تقدّم تونس²⁹².

المطلب الثاني: موقف الرفض والتشكيك

ونظرا لدوافعهم ووسائلهم المريبة، فقد ذهب كثير من العلماء العرب -لمدة ليست قصيرة- إلى رفض النظر في إنتاج المستشرقين، ووقفوا منع موقف الارتياح والرفض، لما فيه من حقد وإلحاد، وهدم²⁹³. فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام. لم يقبلوه على أنه حجة وعلى أنه يقدم جديدا في المفهوم، حتى ما جاء ما باب الإطراء والمديح التي تلفظ بها بعض المستشرقين²⁹⁴.

ثم برزت الانتقادات السلبية حول المستشرقين ببيان مفهوم الاستشراق ومنطلقاته وأهدافه وأغراضه، وذلك عندما تبين لبعض الناقدين أن لدى بعض المستشرقين شيئا من الانحياز للثقافة الغربية في حقبة الاستعمار... ثم جاء من عمم النظرة التآمرية على الاستشراق بشموليته، واتّهم المستشرقين جميعهم بأنهم عملاء للحكومات المستعمرة، وأنهم منصّرون انطلقوا من الأديرة والكنائس، وربط المستشرقين تعميم "بالمبشرين"، وأن المستشرقين آزررو اليهودية، المستشرقون منهم أو المتصهينون، لاسيما بعد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة 1948، وأنهم يمثلون جميعهم: "أحد أجنحة المكر الثلاثة: التنصير، الاستشراق، الاستعمار"، وأن ما جاؤوا به سموم وغزو²⁹⁵.

²⁹⁰ عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 64.

²⁹¹ سورة البقرة، الآيتين ، 184، 185.

²⁹² يوسف القرضاوي: التطرّف العلماني في مواجهة افسلام (نموذج تركيا، تونس)، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1968، ص 128

²⁹³ علي التوفيق الحمد: المرجع السابق، ص 11.

²⁹⁴ علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص 211.

²⁹⁵ علي بن إبراهيم النملة: نقد الفكر الإستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، المرجع السابق، ص - ص 27-29.

- محمد البهي²⁹⁶: يعد باتجاهه النقدي وتحليله الفلسفي العميق وأخذه بالقرآن الكريم أساسا لتنظيم البحث والحياة والعمل شخصية فلسفية أشد أصالة في العالم العربي الإسلامي المعاصر. وعلى هذا الأساس قام بمواجهة الاستشراق، والفلسفات الهدامة والتبشير في مؤلفه المذكور الذي يعتبر بحق مفخرة الفكر العربي الحديث²⁹⁷.

إنّ كتاب محمد البهيّ الشهير "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" نموذج واضح وبليغ لمواقف الرّفض المتشجّع، وذلك من حيث أن معارضته الحادّة للاستشراق، التي لا غبار عليها، هي الصامعة صورة المستشرق كمبشّر وباعث لمقالات هي سموم مبنوثة لتقويض الهوية الإسلامية ومحوها²⁹⁸.

- ومن أشهر أصحاب هذا الموقف أحمد فارس الشدياق؛ الذي يرى أنّ هؤلاء المستشرقين "إنّ هؤلاء الأساتيد لم يأخذوا العلم عن شيوخه... وإنما تطفلوا عليه تطفلا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس... ثمّ أدخل رأسه في أضغاث أحلام، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهل²⁹⁹"، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء. فما اشتبه عليه منها رقعته من عنده بما شاء، وما كان ما بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن، فرجّح المرجوح وفضل المفضول³⁰⁰.

لقد بدأت موجة نقد الاستشراق من الزاوية السياسية والحضارية في الخمسينات من هذا القرن، على أن نقده من الزاوية الدينية كان أقدم من ذلك بكثير. ومنذ أن كتب أنور عبد الملك مقاله الهام عن أزمة الاستشراق³⁰¹. تضمنت رغم طابعها الحاد، أفكارا نقدية جدية في باب تفكيك بعض أوليات الخطاب الاستشراقي، والسعي إلى رد الاعتبار إلى الذات التي تقوم داخل هذا الخطاب في مقام الموضوع المتشّئ³⁰².

ويرى أنور عبد الملك أنّ الاستشراق لابد أن يدرس الماضي والحاضر معا وأن يعتمد في دراسته هذه على ما هو موجود لدى الغرب من أدوات ووسائل ومؤلفات عن العالم العربي الإسلامي، وعلى ما هو موجود في لدى

²⁹⁶ محمد البهي: ولد رحمه الله في سنة 1905، بمحافظة "البحيرة"، درس في الأزهر الشريف، سافر إلى برلين سنة 1931، وحصل على الدكتوراه من جامعة هامبورج بدرجة ممتاز في سنة 1936م، عمل أستاذا للفلسفة، ثم انقطع عنها ليتفرغ لأعمال وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر التي تولّاها سنة 1962م، حتى سنة 1964، شارك كأستاذ زائر بجامعة الرباط 1961م، وقسنطينة الجزائر 1969/68م، له من الكتب 23 كتابا، توفي سنة 1982م. أنظر، محمد البهي: حياتي في رحاب الأزهر طالب وأستاذ ووزير، مكتبة وهبة للنشر، مصر، د س، ص - ص 4- 24 (بتصرف).

²⁹⁷ أحمد سمايلوفيتش: المرجع السابق، ص 69.

²⁹⁸ بنسالم حميش: المرجع السابق، ص 162.

²⁹⁹ أبو الفتح البيانوني: المرجع السابق، ص 66.

³⁰⁰ نجيب العقيقي: المرجع السابق، ط4، ج3، ص 606.

³⁰¹ فؤاد زكريا: نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية دراسة في المنهج، د ط، هندواي للنشر، هاي ستريت وندسور، المملكة المتحدة، 2017، ص

51.

³⁰² بنسالم حميش: المرجع السابق، ص 170.

الشرق من علمائه ومؤسساته و لكي يصل إلى نتيجة ذات قيمة علمية وإلا فليس في وسعه أن يعمل شيئا كثيرا على الإطلاق³⁰³.

يتحدّث الدسوقي عن الذين لا يرون للمستشرقين أي فضل، بل يرون في الاستشراق إساءة في التراث الإسلامي، وأنّه عمل مخطط مدروس يسعى إلى إضعاف الطاقة الإسلامية، ويأتي بمجموعة من آراء هؤلاء: يذكر إجابة مالك بن نبي عن سؤال (حول سبب نقل تراثنا إلى الغرب) إذ أجاب بقوله: "في الماضي كان لتعديل ثقافي ثم استغله في العصر الحديث لتعديل سياسي"³⁰⁴.

- يعتبر **مالك بن نبي** ظاهرة فريدة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، أولا أنّه تعلّم العربية بعد أن تقدّم به السن، وثانيا أنّه تعرّف على الفكر العربي الإسلامي من الاستشراق نفسه، وثالثا أنّه أحاط بالفكر الإسلامي الحديث إحاطة شاملة. ورابعا أنّه كرّس كل حياته لهذا الفكر وإنارة السبيل أمام الأجيال الإسلامية المعاصرة³⁰⁵.

ومن هنا يرى **مالك بن نبي** أنه تحب الملاحظة أيضا أن العالم الإسلامي أصبح يعاني من الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين: مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة³⁰⁶.

وقد أحدثت هذه الصدمة، عند قبيل من المثقفين المسلمين، شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، كأهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب، فأصبح هذا القبيل يبحث عن نجاته في التزبن بالزي الغربي، وينتحل في أذواقه وسلوكه وكل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلا مظهرا لا شيء وراءه من القيم³⁰⁷.

إذن فالطريقة الوحيدة للتقدم والنهضة والازدهار هو الرجوع إلى القرآن ومنهجه الفريد ليس إلا³⁰⁸.

إنّ كل فراغ أيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظر أفكارا منافية معادية لنا ولعلمهم لا ينتظرون الفراغ الأيديولوجي لاحتلاله، ولكنهم يضعونه هم ويشغلونه مؤقتا بأفكار سواهم حتى تنتهي في مرحلة أولى عملية فصلنا عن أفكارنا بتلك الأفكار الفاصلة الوسيطة، والمجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه.

³⁰³ أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص 706.

³⁰⁴ محمد قدور تاج: المرجع السابق، ص 51.

³⁰⁵ أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص 693.

³⁰⁶ مالك بن نبي: مرجع سابق، ص، ص 9، 10.

³⁰⁷ مالك بن نبي: مرجع سابق، ص، ص 9، 10.

³⁰⁸ أحمد سمائلوفيتش: المرجع السابق، ص 694.

ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت تمت إلى الاستشراق أو الشيوعية³⁰⁹.

بدأ حوار جاد حول هذا الموضوع، دارت معظم حلقاته خارج حدود الوطن العربي، لكن العمل الذي فجر المشكلة في الخارج ونقلها بعد ذلك بصورة حيّة إلى الداخل، هو كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق³¹⁰.

– الإستشراق في رؤية إدوارد سعيد³¹¹

صدر كتاب الاستشراق³¹² للمفكر العربي الفلسطيني إدوارد سعيد باللغة الإنجليزية سنة 1978، وصدرت ترجمته إلى اللغة العربية بقلم الناقد والأستاذ الجامعي كمال أبو ديب سنة 1981³¹³. والمترجم إلى العديد من اللغات العالمية، يبرز بوصفه أحد المنتجات الفكرية العالمية باللغة الأهمية والتي تصدرت بالبحث والتحليل لشرح وتفسير المواقف المختلفة للغرب اتجاه الشرف بعامة، والثقافة العربية والإسلامية بخاصة³¹⁴.

³⁰⁹ مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص 49.

³¹⁰ فؤاد زكريا: نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية دراسة في المنهج، د ط، هندواي للنشر، هاي ستريت وندسور، المملكة المتحدة، 2017، ص 51.

³¹¹ إدوارد سعيد: المفكر والناقد والمنظر الفلسطيني المعروف، ولد في القدس في الأول نوفمبر 1935، ودرس فيها ثم في القاهرة. غادر عام 1957 إلى الولايات المتحدة، حيث درس في "ماساشوستس وبرنستون وهارفرد"، ومن هذه الجامعة الأخيرة نال شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن. درّس وحاضر في جامعات عديدة، وهو اليوم أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا، نيويورك. أصدر عدة كتب نذكر منها: جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية (1966)، الاستشراق (1978)، مسأله فلسطين (1979)، الأدب والمجتمع (تحرير 1980)، الثقافة الإمبريالية (1993)، تمثيلات المثقف (1994). فضلا عن مئات الدراسات والمقالات والمحاضرات والمداخلات التي لم تجمع في كتب. (أنظر: إدوارد سعيد: تعقيبات على الإستشراق، تر، صبحي حديدي، ط1، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، 1996، ص 158).

³¹² يمثل كتاب إدوارد سعيد الاستشراق جزءا من ثورة جديدة في الإنسانية تضرب جذورها في الماركسية والبنوية... وما هو - كما تصفه صاحبة الترجمة الفرنسية التي ظهرت حديثا للكتاب - بدارس الشرق "كما خلقه الغرب". بل هو اكتناه غوري، صارم مشبوب أحيانا، لكنه دائما على درجة مدهشة من حدة اللوعة الفكرية ونفاذ الحس، وجوهريّة التحليل، لأسئلة جذرية في الثقافة والإنسان، و التمييزات التي يقيمها بينه وبين الآخر. وهو أيضا دراسة في الآلية التي تتصلب بها هذه التصورات و التمييزات إلى معرفة، معرفة تغدو -حين تتم في سياق القوة والسلطة سياسيا واقتصاديا وثقافيا- إنشاء يدعي لنفسه مقام الحقيقة، ويوجب بشكل مطلق حقيقة كونه تمثيلا لا أكثر ، حقيقة كونه يجسد وعي الذات للآخر، أكثر مما يجسد الآخر. (أنظر: إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء، ، تر. كمال أبو ديب، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1978، (مقدمة المترجم: كمال أبو ديب)، ص - ص 1-3.

³¹³ منصف بوزفور: مرجع سابق، ص 123.

³¹⁴ معروفي العيد وآخرون: نحن والغرب مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي، إعداد وتحرير، عامر بن زيد الوائلي، هاشم الميلاني، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، 2017، ص 595.

ينطلق الاستشراق حسب إدوارد سعيد من فكرة اختلاف جذري تصيغ ثنائيات مثل العقل و اللاعقل ، والأخلاق و اللاأخلاق . لذا يذهب إدوارد سعيد إلى أن الشرق هو اختراع غربي أوروبي تحول بعدها لبناء نظري تولدت عنه مؤسسة حقيقية هي الاستشراق بمختلف مؤسساته³¹⁵ .

فالمساءلات التي طرحها أحد كبار النقاد للاستشراق "إدوارد سعيد" والتي تضمنت كتابه الشيق "الإستشراق"، كانت لا شك فكر له علاقة مع الإنشاء³¹⁶ والبنية الفوكوية³¹⁷ . وإذا كان إدوارد سعيد قد أفاد من فوكو في كتابيه " نظام الخطاب " و "حفريات المعرفة" على وجع الخصوص وأفاد من موقفه من ثنائية السلطة والمعرفة، وهو أمر يعترف به إدوارد ببناء واضح، فإنه لم يفترض مقولات نظرية عن الواقع ولم يلغ الجانب التاريخي والاجتماعي ليثبت مقولات جاهزة على حركة الاستشراق، وإنما جاءت أحكامه منهجية تتسم بالدقة والجرأة والصرحة والشمولية³¹⁸ .

فجاء في كتابه، "تبرز المشكلة في محاولة تجسيد مفهومات شائعة: الديمقراطية، الدكتاتورية، والإمبريالية... فكيف بمفاهيم تطلع من مدارس جديدة نسبيا حتى في أوروبا.. البنيوية، الإنشاء، المحور...³¹⁹ .

لقد كان لطغيان الإنشاء وطغيان البنية عند "ميشيل فوكو" أثرها على سعيد في كتابه، حيث كان يتابع هذا الإنشاء الإستشراقي، بنفس الطريقة التي قدمها "فوكو" في كتابه "الكلمات والأشياء"³²⁰ .

وأصبحت مصطلحات كالتالية علامات مميزة لعمل فوكو وهي الآن تسم عمل سعيد وهي: "الحقيقة" و "التمثيل" و "القوة" و "المعرفة" و "التشكيل" و "إرادة الحقيقة"... ثم، طبعاً، مفهوم الإنشاء الجوهري.³²¹

يقول سعيد في مقدمة الكتاب "لقد وجدت استخدام مفهوم ميشيل فوكو لتحديد "الخطابية"³²² بكتابه "علم آثار المعرفة" و "أدب وعاقب" ذا فائدة لتحديد هوية الاستشراق ما أطرحه هنا هو أننا لم نكتبه، الاستشراق

³¹⁵ روجي أرناالدز: ثلاثة رسل لإله واحد، ترجمة سعدي رشيد، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 5.

³¹⁶ إنشاءً ذا طاقة مولدة للذات تفعل ضمن شروط نابعة من الذات المعانية بالدرجة الأولى ثم من الآخر ، موضوع المعرفة بدرجة ثانية أو ثالثة فقط، ثم إنه اكتناه للطغيان الذي يمارسه الإنشاء على الثقافة التي تشكل فيها أولاً، ثم على الآخر ثانياً، وللعلاقة وحيدة الاتجاه تقريباً، التي تنمو بين الإنشاء-الثقافة- و بين الفرد المنشئ الذي يكتب ويتصور، ويفكر ضمن هذا الكون الإنشائي بموضوع المعرفة، الآخر. و الاستشراق، أيضاً طرح أسئلة باهرة. ولعمل "فوكو" قبل أي شيء آخر يدين عمل سعيد، كما يشير هو ولكننا إلى درجة أعمق بكثير مما توحى به إشارته العامة إلى هذا الدين، أو اقتباساته الجزئية المحدودة من عمل فوكو . (أنظر: إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء، ص، ص 2، 3.

³¹⁷ منصف بوزفور: مرجع سابق، ص 123.

³¹⁸ إبراهيم السعافين: الإستشراق الموقف وردود الفعل، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات، العدد 4، الأردن، خريف 1994، ص 11.

³¹⁹ إدوارد سعيد: الإستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء ، المرجع نفسه، ص 15.

³²⁰ منصف بوزفور: مرجع سابق، ص 124.

³²¹ إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء ، المرجع السابق، ص 6.

³²² والخطاب هنا يتخذ دلالات سياسية أو فكرية أو دينية... وعلى هذا النحو فإن ما نجده من رسائل أو كتابات متباعدة أو أفكار مرسلة هنا، فإنما تعبر عن الخطاب الذي عرفناه موجهاً إلينا، من المثقفين الغربيين خاصة والأمريكيين بوجه أخص. على اعتبار أن الطرف الأمريكي هنا هو الطرف

بوصفه إنشاء فلن يكون بوسعنا أبدا أن نفهم أن هذا الحقل المنظم تنظيما عاليا والذي استطاعت الثقافة الغربية من خلاله أن تتدبر الشرق بل أن تنتجه سياسيا واجتماعيا وعقائديا وعسكريا وعلميا وتحليليا في مرحلة ما بعد التنوير³²³.

إنه البحث عما يقدمه لنا التصور العقلي أو التحليل لهذه الوثائق... إنه البحث عن خطاب الآخر في ثقافة الغرب.

وهنا نتحدد أمامنا عناصر خطاب الآخر، عبر تنويعاته: الاستشراق التقليدي، المثقف المحايد، الاستشراق الجديد ممثلا في عناصره التي تتكون في أغلبها من أولئك المثقفين الغربيين المنتمين إلى المؤسسة العسكرية. وإذا كان الاستشراق أسهم في صياغة التصورات العربية عن الشرق وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما في البعد التاريخي.

فإنّ البحث عن خطاب الآخر هنا يتحدد للمثقف الغربي، الذي تتعدد دوافعه في أنه: يهتم قبل كل شيء بالخطاب المعاصر بعد 11 سبتمبر، الذي بدت فيه التصورات الغربية تنطلق من وعي إمبريالي أكثر غلوا مما كان عليه. وأنه ينطلق من إستراتيجية جديدة تبلورت عبر عصر العولمة، في إطار المصالح الأمريكية النابعة من وعي القوة بنفسها، وهو ما يقترب بنا من تيار الإمبريالية الجديد الذي يحمل في أحد روافده عديدا من عناصر الاستشراق السابق³²⁴.

وفكر إدوارد سعيد في الشرق الذي تشكل عن طريق الاستشراق في بنيته وشروحه. وبسط أسئلة علائقية في مناقشة مشكلات التجربة الإنسانية ومنها: كيف يمثل المرء الثقافات الأخرى؟ وماهي الثقافة الأخرى؟ وهل مفهوم وجود ثقافة (أو عرق أو دين أو حضارة) مفهوم مفيد أنه ينتهي دائما إلى أن ينشكب في تهنة الذات (حين يناقش المرء ثقافته) أ وفي العدائية والعدوان (حين يناقش الآخر)؟

ثم كيف تكتسب الأفكار السلطة وتصبح عادية حتى في مقام الحقيقة الطبيعية؟

ومن جملة ما تشير أسئلة "إدوارد سعيد" في النهاية تشير إلى مشكلة وعي الآخر لذاته من خلال تصور الأنا المعاينة له، أي وعي الشرق لذاته من خلال تصور الغرب له.

المركزي في التعبير عن الدلالة اللفظية في الفترة التي امتدت بعد 11 سبتمبر. (أنظر: مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص 75).

³²³ إدوارد سعيد: الاستشراق، المرجع نفسه، ص 31.

³²⁴ مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص، ص 79، 80.

ولقد كان "إدوارد سعيد" محللاً بنويًا ممتازاً .. هذه البنيوية التي ابتكرتها الدراسات اللسانية و الانثروبولوجية (علم الإنسان) والإثنية (عرقية) انتقلت من صفتها المنهجية إلى صفتها الفلسفية مع "دوسويسير" و "فوكو"، لكن يبقى الطرح الذي يقدمه "إدوارد سعيد" ممتازاً بذاته، بل تنعدم فيه صفة الاختلاف المنهجية³²⁵.

يستكمل إدوارد سعيد الحجة المركزية التي ناقشها في الإستشراق حول العلاقة بين القوة والمعرفة، ويرى أنه إذا كان النشاط الاستشراقي جزءاً من مؤسسة أكاديمية لتمثيل الآخر واختزاله بقصد الهيمنة عليه، فإن الإمبراطورية (في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) كانت ضرورة جوهرية لتحديد قسّمات الهوية الغربية كما نعرفها اليوم. والأمر هنا لا يتصل بإدانة أو تسويق الغرب، لأن الإمبراطورية جعلت الثقافات تتورط بذاتها وتورط سواها، فلم يعد بوسعنا الحديث عن ثقافة نقية أحادية، جميع الثقافات هجينة وتعددية وتمايزية وغير وحدانية، ولهذا فإنّ دراسة التجربة التاريخية للإمبراطورية (وبالتالي العلاقة بين الثقافة والامبريالية) تعني الهندي مثل البريطاني، والجزائري مثل الفرنسي، والغربي مثل الشرقي بصفة إجمالية³²⁶.

واستخلص "سعيد" أن العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة من القوة والسيطرة، ومن درجات مختلفة من الهيمنة المعقدة المتشابكة. هذه العلاقات وهذه الدرجات من الهيمنة لم تعد اليوم هي نفسها. فالأمر اليوم يستدعي نظام من الإنشاء يتناسب مع نظام العالم الجديد.

وكأن الغربي قد هباً كل شيء في الشرق بما يتناسب مع نظمه الاحتكارية الكبرى. وهو اليوم بصدد توزيع شركاته وبنوكه على العالم بعد أن نشر وسائل الإعلام والاتصال عبر الإرسال والاستقبال الفضائي بواسطة الأقمار الصناعية³²⁷.

كان الإستشراق حركة علمية لها في عالم السياسة التجريبية نظيرٌ هو مراكمة الشرق وحيازته، إستعمارياً من قبل أوروبا، ولهذا لم يكن الشرق محاور أوروبا بل —آخرها— الصامت³²⁸.

إذا ما اتفقنا مع تأكيد إدوارد على فكرة أن المعرفة إنما تعني قوة، في سياق تحليله لآليات العقل الاستشراقي، فإننا سنتمكن من إدراك دوافع الرغبة الغربية العارمة لمعرفة المزيد عن أحوالنا. لأن هذه الرغبة تتواشج بقوة مع التطلعات الأوروبية لغرض اكتشاف نقاط ضعف المجتمعات والأمم المستهدفة³²⁹.

³²⁵ منصور بوزفور: مرجع سابق، ص، ص 125، 126.

³²⁶ إدوارد سعيد: تعقيبات على الإستشراق، تر. صبحي حديدي، المرجع السابق، ص 29.

³²⁷ منصور بوزفور: مرجع سابق، ص 129.

³²⁸ إدوارد سعيد: تعقيبات على الإستشراق، المرجع السابق، ص 39.

³²⁹ محمد الدعوي: الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ص 89.

إن المعرفة بالشرق التي وفرتها الاستشراق هي التي مكنت أوروبا من فرض نفوذها على الشرق، ومن ذلك يخلص "سعيد" إلى أن الاستشراق هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه.

والإستشراق بما أنه معرفة بالشرق فهو "تمثيل" وإعادة تشكيل وتشويه لحقيقة الشرق، إنها تصورات الشرق وليس الشرق ذاته، فالشرق كتمثيل في أوروبا يُشكل ويفسد تشكيله وبالتالي، لا تنتج معرفة الاستشراق بالشرق إلا صورة مشوهة عنه. إنطلاقاً من هذه النظرية، ينتهي "سعيد" إلى وصف الإستشراق بأنه "إختراع غربي للشرق" وأنه نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه³³⁰.

ويؤكد "سعيد" على النظرة الدونية، التي يكنها الغرب للبلدان المستعمرة فكان الأهالي يوصفون بالضعف والفساد وبانحطاط ثقافتهم وهذه السلسلة سمة من سمات الخطاب الذي ميّز ما كان يكتب في السياق الاستعماري ومن وجهة نظره، يرى "سعيد" أن الاستشراق خدمة للسيطرة الاستعمارية على الشرق وذلك بإعادة إنشائه في صورة الآخر، الدوني الأقل شأنًا منه.

وفي الأخير الاستشراق كما يذهب "إدوارد سعيد" محققاً، هو رؤية سياسية للحقيقة، رؤية ذات بنية روجت للاختلاف بين المؤلف (أوروبا، الغرب، "نحن") وبين الغريب (الشرق، "هم") ولأنه الكيان "القوي" و"المألوف"، يجد الغرب نفسه تلقائياً في موقع علوي يحتم عليه (كما يظن بعض قادة فكره) "احتواء وتمثل الشرقي من خلال أطر مهيمنة". وتأخذ هذه الأطر الرامية إلى الاحتواء والتمثيل أشكالاً مختلفة، وتوظف تقنيات متنوعة تبعاً لذلك. ويدخل السرد التاريخي فضلاً عن أساليب التعامل مع البيانات القديمة المنتقاة، من سجل الماضي، ضمن الأطر الشمولية، التي يستخدمها الاستشراق لتدبر الشرق، الشرق العربي الإسلامي على نحو خاص³³¹.

المطلب الثالث: الاستشراق والموقف العربي المنصف

وكان من أبرز مؤيدي هذه الفئة الكاتب والمؤلف كرد علي محمد الذي سمح لنفسه الرّد على شبهات الاستشراق وإظهار مكانتهم العلمية والتاريخية، في كشف المديّة العربية التي تجلّت عندهم في الكتب العديدة التي طبعوها وكانت حجر الأساس في انبعث العربية من رقدتها الطويلة، وانتفعت البشرية قاطبة بإنجازها الضخم، ويذكر محمد كرد علي أن أوروبا طبعت كتباً بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة إلى بلادنا بمائتي سنة³³². وقد أسدوا إلينا خدمات أيديهم البيضاء، فهُم -عنده- مهما كانت نيّاتهم، قد أفادوا العرب والعربيّة، ممّا يفرض علينا الاعتراف لهم بالفضل³³³.

³³⁰ إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، ص 46.

³³¹ محمد الدعيمي: المرجع السابق، ص 181.

³³² منذر المعاقيلي: مرجع سابق، ص، ص 90، 91.

³³³ محمد قدور تاج: الاستشراق المرجع السابق، ص 50.

لم تكون فئة الكتاب العرب المعارضة للاستشراق هي عملهم وحيدة التي عاجلت موضوعة الفكر الاستشراقي. فهناك فئة منصفة اعتدلت في أقوالها، كما فعلت بنت الشاطئ العبد الرحمن، التي اعترفت بجليل عملهم، ونيل صنيعهم في مادة التراث، التي انكب رجال الاستشراق على ثروتها الثقافية، وجهدوا في صونها من الضياع، وجعها في مصنفات وأبواب متخصصة، وعملوا على فهرسة موضوعاتها فهرسة علمية دقيقة، اعتمدت على منهج بحثي ومتقدم. أظهرت بنت الشاطئ أن نهضتنا الحديثة قامت على أكتاف المستشرقين³³⁴.

- تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أستاذة علوم القرآن بجامعة عين شمس في مقالة لها بعنوان "تراثنا الثقافي بينأيدي المستشرقين": إذا قارنا بين كيفية نشر الكتب المخطوطة الذي قمنا به نحن المسلمين بالمطبوعات الخطية الإسلامية التي طبعت من قبل الغربيين، سوف نصاب بالدهشة والاستغراب؛ فقد كانوا أمناء في نقل العبارات، أما نحن فقد اتخذنا من مخطوطات أسلافنا لعبة، وحذفنا وأضفنا وغيرنا فيها، بينما راعوا هم الدقة اللازمة في مقابلة كل نسخة بالنسخ الأخرى، وبحثوا عن النسخ الصليبة واعتمدوا عليها. أما نحن فلم نذكر حتى النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها، وطبعنا الكتب التي نُسبت إلى علماء قدماء بدون التحقيق صحة تلك النسبة إليها³³⁵.

- وكتابات أركون لا تدخل في دائرة نقد الاستشراق وإدائته ولكنها تأخذ منحى التعامل الموضوعي مع المستشرقين، على نحو يبرّر إيجابياته، وينتقد سلبياته في إطار مواجهة إيجابية، تقوم على الحوار، والتّقاش، وتبادل الرأي³³⁶.

ويدّعي محمد أركون ومترجم كتبه هاشم صالح فهما جديدا منحرفا للشعائر الإسلامية، إذ يزعم أن تحقيق الإسلام لمهمته الروحية قد يحصل دون أن تُؤدى الشعائر بالضرورة. ثم يقول³³⁷: "ومن المعلوم أنّ المستشرقين كانوا مستمرين في تطبيقه على دراسة الفكر الإسلامي - يقصد الإطار الفكري العتيق البالي لتاريخ الأفكار -. وهذا نجد أننا بحاجة إلى توسيع منهجي ونظري لكي ندرس التراث الإسلامي والمجتمعات التي انتشر فيها بشكل صحيح...

³³⁴ منذر المعاقلي: المرجع السابق، ص - ص 81-83.

³³⁵ محمد حسن زماي: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر، محمد نور الدين عبد المنعم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص، ص 54، 55.

³³⁶ أحمد الحسين: صالح هاشم/الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، لندن: دار الساقى، 1998، ص 260، مجلة عالم الكتب العدد الرابع المجلد 20، العدد 4، سوريا، محرم - صفر 1420 هـ / مايو - يونيو 1999م. ص 323.

³³⁷ محمد بن سعيد السرحاني: المرجع السابق، ص 159.

بالإضافة إلى التوسعة المنهجية و الإستمولوجية³³⁸ ، نحن مطالبون بتلبية المطالب الجديدة للمجتمعات المغاربية... التي تحاول بلورة هويات قومية.. عن طريق عناصر معيّنة من ماضي مجهول.. ومن التعلق بدين طقسي جداً³³⁹

تضمن كتاب محمد أركون "في سبيل نقد العقل الإسلامي" مقالته: "نحو إسلاميات تطبيقية".. وهو في ما يخص نقد الاستشراق لا يضيف شيئاً، اللهم إلا باب التأكيدات البرنامجية والإلحاح على ضرورة تطوير وتحديث مناهج الدراسات الإسلامية. كما أن أركون في عرضه تصريحاً قد نفهم منه أن أركون هو المفكر والناقد الوحيد الذي يفلت من هيمنة المستشرقين ويتموقع ثقافياً ومناهجياً خارجها، وذلك حين يكتب³⁴⁰: "وأما المستشرقون فقد اهتموا بشكل خاص باعتراضات عبد الله العروي، وأنور عبد الملك وهشام جعيط وإدوارد سعيد. إنّ هؤلاء الكتاب العرب إذ ينتقدون المستشرقين لا يأخذون بعين الاعتبار أنهم ينتمون هم أيضاً إلى نفس منهجية العلم الغربي وروحه. ولكن لأنهم يتكلمون باسم العرب فهم يعتقدون بأنهم بمنأى عن الزلل"³⁴¹.

يفجّر أركون دراسته بنصه الجريء حين يرى بأن "القرآن لم يفهم بعد من العرب والمسلمين"³⁴²، ولذلك فهو يريد لقراءته أن تطرح مشكلة لم تبحث عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي، وهذه المشكلة تتمثل بالبحث عما أسماه أركون³⁴³ "تأريخية القرآن وتأريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتأريخية معينة بلحظة زمنية معينة وتأريخية معينة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة"، من خلال محاولته فرض "قراءة تاريخية للنص القرآني قراءة تمنع منذ الآن فصاعداً من أية عملية إسقاط أيديولوجية على هذا النص"³⁴⁴.

يعيّن أركون ثلاثة بروتوكولات متداخلة أو متفاعلة لقراءة النص القرآني كنص³⁴⁵، وهذه القراءات هي: القراءة التاريخية- الأنثروبولوجية، القراءة الأسنية- السيميائية، القراءة اللاهوتية التفسيرية³⁴⁶.

يذكر أركون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بكتابة بعض الآيات في حياته، وأنّه بعد بضع سنوات من موته راح عثمان بن عفان يشكّل نسخة رسمية للوحي (المصحف)³⁴⁷، فقد أمر عثمان "بجمع مجمل العبارات

³³⁸ الإستمولوجيا (epistemology) هي مبحث نقدي في مبادئ العلوم وفي الصول المنطقية لهذه المبادئ، أو هي نظرية العلوم أو فلسفة العلوم أو دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية تؤدي إلى إبراز أساسها المنطقي وقيمتها الموضوعية، وبالتالي فإنّ الإستمولوجيا تختلف عن دراسة المناهج. أنظر: جان بياجيه، الإستمولوجيا التكوينية، تر، السيد نفادي، التكوين، دمشق، 2004، ص 24.

³³⁹ محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، تر، صالح هاشم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص 35.

³⁴⁰ بنسالم حميش: العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2011، ص 184.

³⁴¹ محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر، هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء الوطني، بيروت، 1996، ص، ص 247، 248.

³⁴² محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، المرجع السابق، ص 250.

³⁴³ هادي عبد النبي التميمي، حوراء عبد الناصر الصبيح: مشروع محمد أركون في نقد العقل الإسلامي، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 1، صيف 2014، ص 108

³⁴⁴ محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر، هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، المنارة، 1996، ص 212

³⁴⁵ هادي عبد النبي التميمي، حوراء عبد الناصر الصبيح: المرجع السابق، ص 109.

³⁴⁶ محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر، هاشم صالح، ط2، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص 39.

الشفهية (أو الآيات) المحفوظة في ذاكرة الصحابة من أجل تدوينها وتشكيل مدوّنة نصية رسمية مغلقة (أي ناجزة ونهائية)³⁴⁸.

- وفي شأن تهذيب التصورات العربية عن أوروبا وعن أسلوب الحياة والأفكار الأوروبية، يذكر مصنفات الرحالة العرب كالطهطاوي والشدياق وخير الدين التونسي وغيرهم. إذا أنّ هؤلاء الكتاب يرون بوضوح ضرورة الأخذ بمنجزات المدينة الأوروبية. وتعرف العرب والسوريين خاصة، على الأفكار الجديدة عليهم عن طريق الأدبيات الأوروبية إذ ساعدت العلاقات الواسعة مع أوروبا ونشاط المبشرين على ظهور فئة من الأشخاص المتمكنين من اللغات الأوروبية³⁴⁹.

- وانتقل "ليفن" إلى تحليل الآراء الاجتماعية والسياسية لمنوري هذه الفترة، فذكر "فرانسيس مَرّاش" باعتباره مروج أفكار المنورين الفرنسيين ومنهم "روسو"، ثم أورد فيما بعد "بطرس البستاني" كأب للتنوير العربي، وابنه "سليم البستاني" المحرر لجريدة "الجنان"، حيث عكست أفكاره وآراؤه عقيدة "الأنتيلجاسيا" العربية الجديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ذاكراً دائرة معارف "بطرس البستاني" باعتبارها أول دائرة معارف عربية تصدر عربياً.

أما "أديب إسحاق" نصير الأفغاني فكان ممثلاً بارزاً للفكر التنويري خلال السبعينيات والثمانينيات، ويذكر أن أول مناد حقيقي بالنزعة القومية العربية هو "أديب إسحاق"، الذي عارض الاستعمار الإنجليزي، ودعا إلى التفاف المسلمين حول السلطان التركي³⁵⁰.

³⁴⁷ هادي عبد النبي التميمي، حواراً عبد الناصر الصبيح: المرجع السابق، ص 110.

³⁴⁸ محمد أركون: العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، ط3، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1996، ص 85.

³⁴⁹ منصف بوزفور: المرجع السابق، ص، ص 37

³⁵⁰ منصف بوزفور: مرجع سابق، ص، ص 375، 376.

خلاصة الفصل:

فيما سبق رأينا أنفسنا أمام اتجاهين مختلفين فيما يتعلق بالمواقف بإزاء هذا الدين الحنيف الذي اختباره الله لعباده ﴿إِنَّ الدِّينَ مَعَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

وقد علمنا أنّ الاتجاه الأول يعتبر اتجاهًا متطرفًا متعصبًا لا يعتمد على المراجع الحقيقية، مع محاولة للتشكيك في الإسلام من خلال الخرافات والأساطير التي انتشرت في العصور الوسطى عصر الجهالة. أما الاتجاه الثاني فكما رأينا إذا قارنا بينه وبين الاتجاه الأول كان أقرب إلى الموضوعية إلى الموضوعية وإلى الحيدة والنظرة العلمية.

والثابت أن موقف المفكرين العرب من الاستشراق كان متعدد. فمنهم من عدّه حركة استعمارية ورفضه بالجملة. وتوجد فئة ناصرتّه. وذهب آخرون وهم الفئة الثالثة إلى ضرورة التمييز بين البناء والهدام فيه. لكن، وبصورة عامة، انطلق الموقف من الاستشراق ورجالاته، في البدء، محددًا ومحكومًا بالانبهار العاطفي والإعجاب من قبل مفكري العربية، بمجموعة باحثين تدرس الإسلام والآداب العربية، وتحقق وتحفظ تراثنا ومخطوطاتنا الموجودة في مكتبات الغرب.

الفصل الثالث

آثار الاستشراق

الفصل الثالث

آثار الاستشراق

تمهيد:

اتسمت عملية الاستشراق بالعلمية والأداء الفكري العالين وقد جند المستشرقون لهذا الغرض كل الوسائل المادية والفكرية لاستكشاف الشرق بكل تفاصيله وأسراره، لكن العملية الاستشراقية تستمر في الكثير منها بالتخير العقائدي والفكري، لذلك كانت أقرب للتفتيش أي التفتيش عن كنوز الشرق المعرفية والعلمية والفكرية، وذلك لجانبين الأول الاستفادة من تلك العلوم ونقلها، وثانيا لإيجاد مداخل للقضاء على المداخل العلمية والفكرية³⁵¹.

³⁵¹ خالد عبد المنعم: الإستشراق الحديث مجالاته ومنهجيته العلمية، مرجع سابق، ص، ص 4-6.

قدمت العملية الإستشراقية للغرب خدمات كثيرة دينية وعلمية واستعمارية أو اقتصادية سياسية أو ثقافية، كما أثر سلبا في العالم الإسلامي في شتى الميادين.

وبغية التعرف على آثار الاستشراق وفهمها بشكل أفضل قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث، حيث تناول المبحث الأول إيجابيات الاستشراق والتي جاءت في ثلاث مطالب على الترتيب، الاهتمام بالتراث الإسلامي العربي، وضع المنهج العلمي، تأثير الإسلام في المستشرقين، أما المبحث الثاني فتطرق إلى سلبيات الاستشراق وقد قُسم كذلك إلى ثلاث مطالب، حيث تناول المطلب الأول الآثار السلبية السياسية والدينية، وفي المطلب الثاني الآثار السلبية العلمية والفكرية، أما المطلب الثالث فقد تطرق إلى الآثار السلبية الاجتماعية والاقتصادية، وأخيرا ختم الفصل في المبحث الثالث بدراسة طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي وسبل مواجهته وذلك في مطلبين.

المبحث الأول: إيجابيات الاستشراق

من الصعب علينا أن ننكر أثر الدراسات الاستشراقية في الفكر العربي الإسلامي، من حيث تطوير المناهج العلمية وتشجيع الدراسات النقدية، وإحياء بعض أمهات الكتب العربية، والاهتمام بالدراسات المعجمية والموسوعية، وإيجاد مناهج للدراسات اللغوية في إطار اللغات الشرقية، التي تمثل روح الحضارات الشرقية ذات الطبيعة المتميزة المعبرة عن الشخصية الشرقية في إطارها الفكري وتكوينها الثقافي³⁵².

المطلب الأول: الاهتمام بالتراث الإسلامي العربي

³⁵² محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، 2012، ص، ص 35، 36.

بذل المستشرقون جهوداً ضخمة مضيئة في دراسة الإسلام ولغته وآدابه وعقيدته وتاريخه، وقرآنه وسنته، وحضارته، وأعلامه.. إلخ، وألفوا كتاباً وقواميس ودائرة معارف... وعقدوا مؤتمرات كثيرة لتدارس فيما بذلوه وما ينبغي أن يقوموا به من عمل³⁵³.

ويجب أن نعترف بالجهود الجبارة والموضوعية التي بذلها المستشرقون نحو تراثنا العربي الإسلامي، اللغوي والأدبي والتاريخي والعلمي والفلسفي، حفظاً وفهرسةً وتحقيقاً ونشراً وترجمةً وتأليفاً³⁵⁴. ودرسوا العالم الإسلامي في قرونه الأولى، وأضحت هذه الجهود كلها شائعة بين الباحثين العرب والمسلمين، وبرزت أعلام للمستشرقين دأبت على التراث العربي الإسلامي تخدمه بدافع الإعجاب أحياناً، وهذا يعد من الدوافع العليمة النزيهة³⁵⁵.

وقد استطاع الاستشراق أن ينجز على مدى قرون طويلة مشاريع كبيرة، من الدراسات والبحوث التي تحاول أن تدرس الشرق الإسلامي في جوانبه المتعددة فكرياً واجتماعياً واقتصادياً، وغير ذلك. وقد تعمقت بعض هذه الدراسات المجتمع الإسلامي تعمقاً يلفت النظر، واستحضرت لذلك البيانات الهائلة والمعلومات المهمة الكثيرة، وناقشتها مناقشة لا تخلو من فائدة جمة. وكان ثمار ذلك الفهارس، وتحقيق النصوص، والعناية بها، ومناقشتها والدراسات الإحصائية والاجتماعية الميدانية، والمقارنات البيانية، فضلاً عن الدراسات اللغوية التي كثيراً ما وصلت بالبحث العلمي إلى نتائج لم يتوصل إليها أبناء هذه اللغات. فالدراسات الاستشراقية مكتبة ثرية عريقة في مجال البحث العلمي، ولا يحسن بنا أن نتجاهلها³⁵⁶.

إنّ بعض المستشرقين كانت لهم في دراساتهم للسنة والأحاديث أعمال مذكورة غير منكورة، وذلك بإحيائهم بعض الكتب الحديثة، وتأليفهم بعض الكتب التي قربت إلى الباحثين، والدارسين الوقوف على الأحاديث في مظانها، وموضعها وذلك مثل ما فعل جماعة من المستشرقين بتأليفهم كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي"، وهذا يدل على تقديرنا للأعمال العلمية النافعة، وإننا لا نكره المستشرقين كافة، ولا نمدحهم بعامه³⁵⁷.

وفي الحق إن المبشرين والمستشرقين رغم ما يسيئون به الإسلام خليقون أن يكونوا نموذجاً للداعية المسلم في حسن الاستعداد وسعة القراءة والإطلاع، كما يقول - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - عبد الجليل شلبي: فإني أنظر إلى كثرة ما كتبوا عن حركة التبشير المسيحي، وما أجده في كل كتاب لهم من مراجع عديدة

³⁵³ حمد عبد الله الشراوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، المرجع السابق، ص 191.

³⁵⁴ علي توفيق الحمد: المرجع السابق، ص 11.

³⁵⁵ علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق مصدراً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، شبكة الألوكة، المملكة العربية السعودية، 1999،

ص 7.

³⁵⁶ إسماعيل أحمد عمايرة: المرجع السابق، ص، ص 65، 66.

³⁵⁷ محمد بن محمد أبو شهبه: المرجع السابق، ص 375.

ومتنوعة فأشعر بكثير من الأسى والحزن لأنني لا أجد للدعاة المسلمين في هذا المجال عملاً تبشيريًا ولا تسجيليًا تاريخيًا لما فعله دعاةهم³⁵⁸.

المطلب الثاني: وضع المنهج العلمي

من الصعب علينا أن ننكر أثر الدراسات الاستشرقية في الفكر العربي الإسلامي، من حيث تطوير المناهج العلمية وتشجيع الدراسات النقدية، وإحياء بعض أمهات الكتب العربية، والاهتمام بالدراسات المعجمية والموسوعية، وإيجاد مناهج للدراسات اللغوية في إطار اللغات الشرقية، التي تمثل روح الحضارات الشرقية ذات الطبيعة المتميزة المعبرة عن الشخصية الشرقية في إطارها الفكري وتكوينها الثقافي³⁵⁹.

ومن محاسن المستشرقين إدخال المنهج العلمي في دراساتهم الإسلامية والعربية. وهذا المنهج قائم على الإحاطة والموازنة والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة، وقد ساعدتهم على تطبيق منهجهم العلمي مميزات خاصة، منها إتقانهم بأمهات اللغات السامية كانت أو آرية... ومن مميزات المستشرقين أيضاً جلدتهم على العمل، وربما ينقضي عمر أحدهم في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب أو موسوعة دون كلل³⁶⁰.

والحق أن مناهج المستشرقين في البحث هي مناهج تتميز بالجد والدأب على البحث، والتعمق والتحليل، والاستقراء، والاستنتاج³⁶¹، ويقول نجيب العقيقي: "لقد كان للمستشرقين ولأساتذة الغرب الذين أخذنا عنهم المنهج العلمي الذي تميزت به ثقافة العصر أثر في أساليب تعليمنا وتحقيق تراثنا وترجمته ودراسته والتصنيف فيه، وتقييمه بالنسبة للتراث العالمي... وقد ظهر ذلك الأثر بيننا في مناهج التعليم ونشر الذخائر، ولاسيما في كتب التاريخ العام، فصنف فيه بعضنا بعد درس العلوم اللغوية والأدبية والعلمية والفنية، وتمحيص المؤثرات الجغرافية والسياسية والاقتصادية وتعرف الجماعات بطبائعها وتقاليدها وهجرتها ومواطنها وبأحداثها، وصلاتها وتفاعلهما وتطورهما مثل كتاب تاريخ العرب للدكتور جواد علي³⁶².

كما للمستشرقين أثر واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي منذ أن استقام عود الاستشراق وتكونت لديه العراقلة، وتحول من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها ومدارسها وفناتها ومنطلقاتها وأهدافها، هذا الوقت

³⁵⁸ عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره، وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشأة المعارف، الاسكندرية، دس، ص 13.

³⁵⁹ محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه مدرسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 2012،

ص، ص 35، 36.

³⁶⁰ علي حسن الخربوطلي: المرجع السابق، ص 124.

³⁶¹ علي حسن الخربوطلي: المرجع نفسه، ص 123.

³⁶² نجيب العقيقي: المرجع السابق، ج 3، ص، ص 602، 603.

الذي تأخر فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث خدمة علمية ومادة، حتى حُشي على ضياعه بينهم، عندما أصبح في كثير من دور الكتب قطعاً متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر³⁶³.

وبهذا أسهم الإستشراق في دفع عجلة البحوث العلمية، وتنمية المناهج، وتشجيع حركة البحث والتحقيق، وربط الصلة بين المناهج الغربية والمناهج الشرقية، وتعميق الصلة بين علماء الاستشراق والعلماء العرب والمسلمين، والمستشرقون ليسوا في درجة سواء، فبعضهم كان يتميز بموضوعية علمية، ودافع بعضهم عن التراث الإسلامي بحماسة، ولا نستطيع أن ننكر أن الدراسات الإستشراقية أسهمت في تعريف الغرب المسيحي بحضارة الإسلام³⁶⁴.

- النظرة الشمولية للاستشراق وعدم الاقتصار على الإطار الضيق المحصور في نطاق الدراسات العربية والإسلامية؛
- عدم إغفال أثر الإستشراق في الفكر الغربي وتشكيل رؤيته للعالم الإسلامي.

المطلب الثالث: تأثير الإسلام في المستشرقين

وقع العديد من المستشرقين تحت تأثير الفكر الإسلامي الدارسين له، ويُعد هذا من الإيجابيات الهامة للإستشراق، وشهادة إستشراقية على سلامة الفكر الإسلامي وصحته، وقدرته على التغلغل في نفوس الدارسين له من غير أتباعه، وقد حصل هذا التأثير في نفوس بعض المستشرقين إلى الحد الذي هجروا فيه معتقدهم، وأعلنوا الدخول في الإسلام، والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها -على سبيل المثال لا الحصر- المستشرق الفرنسي "إيتين دينيه" (1861-1929)، والمستشرق النمساوي "ليوبولد فايس" المعروف في الإسلام باسم "محمد أسد" والذي أعلن إسلامه عام 1927³⁶⁵.

يقول أنور الجندي في هذا الصدد: لذلك أعترف بكل وضوح وصراحة أنّ عددا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا جهودا ضخمة ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها، بفضل جهودهم برز كثير من نواذر العلم والمعارف³⁶⁶.

³⁶³ علي بن إبراهيم النملة: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996، ص 20.

³⁶⁴ محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص 37.

³⁶⁵ محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1997، ص 135.

³⁶⁶ أبو الحسن علي الحسيني الندوي: الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، ص 13.

أما بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان، والفهارس المفضلة المفيدة المتنوعة (وذلك كله من خصائص المستشرقين) والإفادة من مواد لم تُستخدم بعد، وكتب ومطان لا يتبادر إليها الذهن³⁶⁷، من ناحية، وإبراز الجهود العلمية القديمة التي أسهم بها المستشرقون إيجاباً من ناحية أخرى، مثل جون إسبوزيتو³⁶⁸، أحد تلامذة الأستاذ "إسماعيل الفاروقي" - أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني- فهو يحاول الإنسلاخ من الاستشراق القديم، حتى إنّه ليكاد يخرج نفسه من المصطلح، فهو قد لا يرضى أن يقال عنه أنه مسترق، ويفضّل أن يقال عنه إنّه عالم إسلاميات (islamist) ولا يفضل أن يطلق عليه مصطلح (orientalist)³⁶⁹.

والفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الذي كان قريب عهد بالإسلام بعد أن اجتمع برجاله الذين عدّد منهم: الشيخ البشير الإبراهيمي العالم الجزائري المعروف والشيخ الطاهر بن عاشور العالم التونسي وغيرهم مثل المفكر الإسلامي الكبير محمد المبارك. و في كتابه "الإسلام دين المستقبل" وهو ليس كتاب تاريخ بل هو كتاب يعمل على إظهار الإسلام كوجود ومستقبل³⁷⁰، في قوله: "الإسلام كقوة حية، ليس كامان فقط في ماضيه إنما في كلّ ما يمكن أن يقدمه لصنع المستقبل"³⁷¹، "إنّ الإسلام اليوم يملك إمكانيات واحتمالات انتشاره بأكثر مما كان في أوجّ عظمته: فهو يستطيع أمام هذا الإفلاس المستعصي والمزدوج للنموذج الأمريكي والسوفييتي أن يعيد الأمل إلى عالم مهتد في بقائه بهذا الفشل المزدوج... إنّ الإسلام اليوم يعرف كيف يستعيد المبادئ الفعّالة التي صنعت عظمته"³⁷².

- إنشاء الجامعات والمراكز العلمية:

³⁶⁷ سيد عبد الله ماجد الغوري، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ط1، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2002، ص 34.

³⁶⁸ جون إسبوزيتو: مستشرق أمريكي معاصر من أصل إيطالي، تتلمذ على يد الأستاذ إسماعيل بن راجي الفاروقي-رحمه الله تعالى- بجامعة تمبل بفيلا دلفيا بولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الأمريكية، يعمل أستاذاً في الأديان الشؤون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطن، وترأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط، ويرأس الآن تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر التي ستنشرها جامعة أكسفورد. أنظر، علي بن إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998، ص 132.

³⁶⁹ علي بن إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998، ص 132.

³⁷⁰ محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص 387، 388.

³⁷¹ روجيه جارودي: الإسلام دين المستقبل، ترجمة، عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص 21.

³⁷² روجيه جارودي: الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نخضة المسلمين، تر، كمال جاد الله، د ط، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، د س، ص 147.

ويلاحظ أنّ جهود الاستشراق في المجالات العلمية قد تركزت في إنشاء مراكز للدراسات الشرقية والإسلامية خاصة من مدارس وعاهد وجامعات وغيرها، ومن خلال هذه المراكز تدرس علوم المسلمين وآدابهم وفنونهم بالإضافة إلى دراسة وتحقيق المخطوطات الإسلامية وتأليف المعاجم القيّمة، وإنشاء المكتبات والمتاحف العلمية والترجمات الواسعة لشتي الفنون والعلوم الإسلامية والعلوم التي نقلها العرب المسلمون عن اللغات الأخرى وإنشاء المطابع والمجلات العلمية المتخصصة في العلوم الإسلامية³⁷³.

المبحث الثاني: آثار الدراسات الاستشراقية في الفكر العام العربي

إذا كان للاستشراق بعض الآثار الإيجابية فإنّ آثاره السلبية تغطي على دراساته في الفكر الإسلامي المعاصر، والتي تشمل جميع مناحي الحياة السياسية والعقدية والاقتصادية والفكرية الثقافية والاجتماعية.

المطلب الأول: الآثار السياسية والدينية للاستشراق

1- الآثار السياسية للاستشراق:

- مثّل المجتمع الإسلامي نقطة البداية للعمل الاستشراقي، إذ بدأ الاستشراق بتقديم المعرفة الضرورية عن المجتمعات الإسلامية وأوضاعها السياسية لتسهيل عمل الحركة الاستعمارية والآلة التوسعية للغرب، وقد تمثلت آثار الفكر الاستشراقي التي خلّفها في المجتمعات الإسلامية فيما يأتي: بعث القوميات، وإسقاط الخلافة العثمانية، وتجزئة العالم الإسلامي، ونشر النظم السياسية الغربية في الدول الإسلامية.

- يزعم الغربيون أن الديمقراطية هي أفضل نظام يتوصل إليه البشر حتى الآن، لذلك فهم يسعون ليسود هذا النظام العالم أجمع بما فيه الدول الإسلامية، وقد تأثرت الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي بأن قامت باستيراد النظام البرلماني دون أن يتم إعداد الشعوب العربية لتمثل هذه الأنظمة، فكانت كما قال برنارد لويس بأن العرب استوردوا برلمانات مغلقة دون ورق التعليمات³⁷⁴.

- وليس من الخطأ القول بأن الدراسات الاستشراقية، أسهمت في تكوين الظروف المناسبة للنهضة العربية واليقظة الفكرية التي شهدتها العالم العربي في بداية القرن العشرين إذ من المؤكد أن الحضارة الإسلامية شهدت ركوداً واضحاً وجموداً في العهد العثماني، وتوقفت الحركة العلمية وتراجعت مظاهر الحياة في العالم العربي، وشاعت قيم وتقاليده تكرر التخلف وتنتظر بعين الريبة والحذر والرفض لكل حركة ثقافية حية، ولكل مدرسة علمية ترفع شعار التجديد وتدين مظاهر التخلف.

³⁷³ عجيل جاسم التّشّمي: المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص 9.

³⁷⁴ صالح حمد حسن الأشرف: المرجع السابق، ص، ص 26-27.

- واتسعت دائرة التطلع لحركة إصلاحية دينية وثقافية واجتماعية، وظهرت حركات سلفية دينية داعية لتصحيح المفاهيم الدينية وأعقبتها موجات من دعوات للإصلاح الاجتماعي والسياسي والإداري، وظهرت فكرة القوميات، ونمت كظاهرة رفض للواقع.

- وقد استفاد رموز الإصلاح من اتصالهم بالحضارة العربية، وعادت مواكب الموفدين من الجامعات الأوروبية يحملون معهم أفكارا إصلاحية، في مجال المناهج التعليمية والحريات العامة والتنظيمات السياسية والإصلاح الاجتماعي والإداري والقضائي³⁷⁵.

- كانت فكرة الصليبيين في عداء المسلمين مستمدة من الفكرة اليونانية، وهي أنّ العالم ينقسم إلى يونانيين وبرابرة، فاعتقدوا هم أيضا أنّ العالم ينقسم إلى سادة أوروبيين وعبيد من عالم آخر.

- وكان الظن أن يصحح المستشرقون من الأوروبيين هذا الموقف في بحثهم وعلمهم ولكن تبين أنّهم من نفس البيئة التي كونت الصليبيين، وكان من بعدهم من المستشرقين غير المبشرين، فسلخوا مسلكهم واحتذوا حذوهم، فلم يسلكوا مسلك البحث النزيه المجرد بل كانوا يضعون الاتهام أولا، ثم يبحثون عن الأدلة التي تُقوي هذا الاتهام فيما عدا النادر القليل منه.

وكانت نتيجة هذا كله مأساة فلسطين؛ إذ تخلّى عنها الإنجليز من غير إنذار للعرب، ومع تواطؤهم مع الصهيونيين على ترك حيفا لهم وإنذارهم لهم بالاستعداد والمقاومة³⁷⁶.

2- الآثار الدينية (العقدية) للاستشراق: أثار الفكر الاستشراقي الشكوك في العقيدة الإسلامية، وشوّه صورة الإسلام في الغرب، وعظّم من شأن الاختلافات بين الفرق والجماعات الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال³⁷⁷:

- تشويه صور الإسلام في الغرب: أعطي الاستشراق انطبعا سلبيا للإسلام كدين والحضارة في ذهن المسلم الذي تلقى معرفته عن الإسلام من خلال المستشرقين الذين يمثلون المصدر المعرفي الأساسي عن الإسلام³⁷⁸.

- وكان من الأسف أن يكون في طليعة هؤلاء المستشرقين مستشرقون مبشرون، فأخذوا يستخدمون الإسلام في الطعن عليه أداة في التبشير، ويختارون الأشياء التي تثير الأوربيين على المسلمين كفكرة تعدد الزوجات وملك اليمين وحديث الإفك³⁷⁹.

³⁷⁵ محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص، ص 35، 36.

³⁷⁶ أحمد أمين: يوم الإسلام، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر العربية، 2012، ص 77.

³⁷⁷ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

³⁷⁸ محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص، ص 19-32.

³⁷⁹ أحمد أمين: المرجع السابق، ص 77.

- ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليها بالعلمانية فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل فلما كانت أوروبا ترى أن الديانة النصرانية المحرفة تعيق أهدافها ونهضتها ظهر فيها لتيار الذي أطلق عليه التنوير مناديا بفصل الدين عن الحياة أو قصر الدين على الشعائر التعددية فقط.

- من تأثير الإستشراق الاهتمام المبالغ بالصوفية وخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب السنة، فنجدوهم يجذبونهم للنشاطات الإستشراقية كما سيجذبون أبناء المسلمين لهم.

- التركيز في الطوائف والأقليات في المجتمع الإسلامي: لقد اهتم الإستشراق بالفرق المنحرفة كالرافضة والإسماعيلية، فيعطونها من وقتهم ومن دراستهم ما يجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام، كما لعبوا دورا في تشجيع الدراسات الخاصة ببعض الفرق القديمة "الشيعة والمعتزلة"، والهدف منها إحياء هذه الفرق وخلق مكان جديد داخل الفكر الإسلامي والعمل على تفتيت الوحدة الدينية للمسلمين³⁸⁰.

- ركز المستشرقون على القرآن الكريم والحديث الشريف باعتبارهما المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي بشكل أساسي مثيرة الشبهات حول مصدره الإلهي واعتبروه من وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما حاولوا إثبات وجود صلة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشخصيات يهودية ونصرانية منكرين الوحي القرآني إنكارا تاما وذلك عن طريق مناهج النقد الغربية التي طورت لدراسة النصوص الأدبية فيما يعرف بمنهج النقد التاريخي والأدبي.

- التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي بالإضافة إلى التشكيك في صحة القرآن الكريم والحديث الشريف: لجأ المستشرقون إلى إثارة الشك العام حول مصادر الفكر الإسلامي ورد الثقافة الإسلامية إلى مصادر أجنبية يهودية ونصرانية أو فارسية أو يونانية.

- التشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية: فمن الآثار السلبية الإستشراق التشكيك في قيمة الحضارة الإسلامية وفي أصالتها وإنكاره لفضلها على الحضارة الغربية فقد اتجه المستشرقون إلى إثارة الشبهات حول منجزات الحضارة الإسلامية وينسبون معظم المنجزات إلى المسلمين غير العرب، ذلك للفرقة بين المسلمين والتقليل من شأن الدور العربي في بناء الحضارة الإسلامية وإثارة الصراع الحضاري والنزاعات القومية بين المسلمين.

- تمكين الصهيونية في العالم العربي: فقد كان الإستشراق دور عظيم في نشر الصهيونية بين اليهود بلاد العالم العربي الإسلامي والغربي ودفع يهود العالم الإسلامي إلى فلسطيني بعد إثارة النزعة القومية فيهم.

- حرص الإستشراق على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي في العالم الإسلامي منها الكلية الإنجليزية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية لها فروع في القاهرة- بيروت- إسطنبول- دبي، وكذلك "كلية فكتور" وهي مدرسة ثانوية³⁸¹.

- ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يُطلق عليه العلمانية³⁸². فالعقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان³⁸³. فلما كانت أوروبا قد وجدت الديانة النصرانية المحرفة تعيق تقدمها ونهضتها ظهر فيها التيار الذي أطلق عليه التنوير مناديا بفضل الدين عن الحياة أو قصر الدين على الشعائر التعبدية والعلاقة بين الله والإنسان. أما شؤون الحياة الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع فلا علاقة للدين به. ونظرا لأن أوروبا لم تعرف النصرانية الحقيقية أو الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام بما أحدثه بولس فيها من تحريفات فإن ما ينطبق على أوروبا لا يمكن أن ينطبق على الإسلام³⁸⁴.

- حاول التغريب والفكر الاستعماري الغربي أن يصف مرحلة القرون الثلاثة السابقة للقرن العشرين بأنها عصر الانحطاط، وهو تعبير قاس استخدمه بعض المبشرين المتعصبين وكان أول من رده في الكتابات العربية جرجي زيدان، أما وجوه الضعف فهو تأثير الفكر الإسلامي بالفلسفات الهندية والفارسية والمجوسية التي حملت مفاهيم معقدة مضطربة من أمثال وحدة الوجود والانحلال والاتحاد وغيرها من المذاهب التي لا تتفق مع جوهر التوحيد الإسلامي³⁸⁵.

- نهضت أوروبا نهضتها بمحاربة الدين والكنيسة، وبلغت الذروة في هذه الحرب في الثورة الفرنسية، وقد أثر الاستشراق في هذا المجال عن طريق البعثات العلمية التي انطلقت من العالم الإسلامي إلى فرنسا كما يقول الشيخ محمد الصباغ: "إنّ إفساد الطلبة المبعوثين لم يكن ليتحقق في بلد من البلاد الأوروبية كما يمكن أن يتحقق في فرنسا التي خرجت من الثورة الفرنسية، وهي تسبح في بحور من الفوضى الخلقية والفكرية والاجتماعية... من أجل ذلك كانت فرنسا محل البعثات"، فانطلقت هذه البعثات من تركيا ومن مصر ومن إيران ومن المغرب، وكانت هذه

³⁸¹ محمد خليفة حسن أحمد: المرجع نفسه، ص 122.

³⁸² العلمانية: تعبير العلمانية تعبير محدث لم يرد له ذكر في المعاجم العربية القديمة، وقد ورد هذا التعبير أول مرة في قاموس ثنائي اللغة (فرنسي/عربي)، ثم دخلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية وهي نسبة إلى "العَلَم"، وهو خلاف الدين أو الكهنوتي، وعلى هذا فإن المعنى الصحيح لهذا التعبير هو "الفصل بين الدين والدولة"، بل بتعبير أدق "الفصل بين الدين والحياة" وعدم المبالاة بالدين أو الاعتبارات الدينية ونزع القداسة عن المقررات الدينية والتعامل معها كمواثيق بشرية بحتة. أنظر: صلاح الصاوي: موقف الإسلام من العلمانية، ط1، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 2001، ص، ص 7، 8.

³⁸³ محمد قدور تاج: مرجع سابق، ص 12.

³⁸⁴ مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق، المرجع السابق، ص 12.

³⁸⁵ أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د س، ص 41.

البعثات تحت إشراف مستشرقين فرنسيين، فمثلاً كانت البعثة المصرية تحت إشراف جونار، ويقول أحد المستشرقين عن البعثات الأولى أنها كانت لدراسة الهندسة والفنون الحربية، ولكن المعلمين الفرنسيين كانوا حريصين على أن ينقلوا إلى الطلاب المسلمين الآداب الفرنسية والثقافة الفرنسية.

- التمكن للتصير³⁸⁶: وقد أكد هذا المعنى أحد رؤساء الجامعة الأمريكية (1948) حين قال: " لقد برهن التعليم على أنه أثمن وسائل التصير عن طريق تنشئة جيل يدين بالولاء للغرب أو الشرق، ويحتقر أمته ودينه ولغته"، ولقد كانت مدارس الإرساليات مراكز للغزو الثقافي وللتغريب في الأغلب، وعن طريق هذه المعاهد تمزقت تيارات التعليم في التبعية لفرنسا أو بريطانيا أو أمريكا، مما أدى إلى القضاء على الوحدة الإسلامية³⁸⁷.

- لكون العقيدة الإسلامية من أهم المجالات المستهدفة من المستشرقين، وقد نالت النصيب الأوفر من جهود دوائرهم، والتي عملت في اتجاه تحصين العالم المسيحي ضد الإسلام بغية انتشاره في الغرب؛ وفي اتجاه آخر استهدف الشعوب الإسلامية في شكل هجمات تنصيرية، أو ترويج مزاعم وافتراءات على العقيدة الإسلامية.

- يعتبر مجال العقيدة الإسلامية من أهم المجالات التي اهتم بها المستشرقين ووجهوا لها النصيب الأكبر من دراساتهم، فقد نشأ الاستشراق في مجال الدراسات الإسلامية أصلاً لدراسة العقيدة الإسلامية، والبحث عن الوسائل والعوامل التي يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها وتشويه أصولها³⁸⁸، لذلك أثارت الشكوك في العقيدة فقد عمل الاستشراق على إثارة الشكوك لدى العلماء المسلمين في عقيدتهم وفي القيم الدينية والحضارية المنبثقة عنها وقد كان التأثير الفكري الاستشراقي عظيماً لدى المسلمين الذين تعلموا في الغرب أو المتصلين بهم وبحضارتهم فأصابهم ما أصاب الغرب من هجر الدين واحتقار له والفصل بينه وبين أمور الدنيا، فقد خضعوا للقيم الغربية وتأثروا بمعطيات الحياة الغربية وحاولوا نقل القيم الغربية إلى عالمنا الإسلامي، على اعتقاد بأفضلية هذه القيم على القيم الإسلامية، كما أثرت الشكوك لدى بعض المسلمين في العديد من الموضوعات الدينية من بينها التهوين من أمر الكتب المقدسة والنظر إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أنه خاضع للنقد العقلي³⁸⁹.

- الآثار الواسعة للفكر الاستشراقي في مجال العلوم الإسلامية: استخدم المستشرقون لتحقيق أهدافهم في ذلك المجال عدداً من الوسائل، منها:

- التشكيك في مصادر العلوم الإسلامية؛

- التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي ومصادره، وذلك بالطعن في:

³⁸⁶ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

³⁸⁷ أنور الجندي: أهداف التغريب، المرجع السابق، ص، ص 31، 32.

³⁸⁸ محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص، ص 11-13.

³⁸⁹ محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص، ص 11-13.

أ- أصالة الشريعة والفقه الإسلامي؛

ب- أصالة النحو العربي؛

ج- أصالة الأدب العربي؛

د- قدرة اللغة العربية في العصر الحديث؛

هـ- أصالة الحضارة الإسلامية³⁹⁰.

المطلب الثاني: الآثار العلمية والفكرية للاستشراق

1- الآثار العلمية للاستشراق

- جاء المستشرقون في هذه الحقبة ليقدموا المعلومة الخاطئة عن الثقافة الإسلامية لبني قومهم، فقد أصبحت رؤى المستشرقين تتسلل إلى العقول الأوروبية؛ لنهم خبراء في شؤون الدين والمجتمعات الإسلامية، واكتسبوا ثقة الإنسان الغربي؛ لما يمثلونه من علم وخبرة نادرة. ومع تسللها للعقول الأوروبية تسللت من خلال النقل والترجمة للآثار الاستشرقية الغربية إلى بعض العقول الآسيوية، ولاسيما في روسيا، حيث مرت المعرفة الإسلامية من البداية عن طريق، المصفاة الأوروبية الغربية، ولذلك جاء معظمها مشوّها بعيدا عن الموضوعية العلمية. هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لقد أرادت روسيا الاستعانة بوجهة النظر الأوروبية الغربية عن الإسلام؛ لكي تركز على مستندات فكرية توظّفها الأرثوذكسية المسيحية الفكرية ضد الدوغمائية الإسلامية التتيرية، على حد قول سهيل فرح³⁹¹.

- يستمد الاستشراق ثقله أيضا من الحضارة التي يمثلها القائمون عليه، فهو بمنزلة المرآة التي تعكس آراء مدنية الغرب وما يمتلكه من: منهاج، أدوات وآليات بحث قلّما تتوافر - في وقتنا الحاضر - لأمم الشرق وشعوبه.

- وإلى جانب هذه الآثار العلمية التي تعكسها الظاهرة الاستشرقية فإن هناك آثارا أخرى سلبية خلفها الاستشراق في المجتمعات التي جعل منها حقلا لنشاطه، ومن بينها المجتمعات الإسلامية.

فقد حاول الاستشراق جاهدا منذ البداية أن يسبر أغوار الحياة في المجتمعات الإسلامية مدفوعا بأهداف السياسات التي قام المستشرقون - في الغالب - بخدمة، سواء أكانت سياسات هادفة إلى نصره الكنيسة، أم إلى تقديم الخبرات اللازمة لجيوش الاحتلال وصانعي خرائط المستعمرات والإمبراطوريات الغربية في العالم الإسلامي.

³⁹⁰ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

³⁹¹ علي بن إبراهيم النملة: الفكر المعاصر صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، 2008، ص، ص 97، 98.

وفي الوقت الذي يسعى فيه الغرب جاهداً إلى الحفاظ على مكاسبه التي جناها في المرحلة الاستعمارية، من الطبيعي أن يكتف من نشاطاته في المجتمعات الإسلامية، مما يعني زيادة الآثار السلبية التي تخلفها الأنشطة الاستشراقية وتعمقها.

- حالة الركود العامة في التصور الإسلامي للحياة وفي الدراسات الإسلامية التي لم تستطع أن تغطي الباحث مقابلاً للمناهج الغربية، ينشأ هذا الموقف في الانفصال عن تراثنا القديم وتبعيتنا للتراث الغربي. وتكون النتيجة أن يتخرج مئات الشباب مشتتون حائقون باحثون عن منهج يمكنهم بوساطته حل جميع مشاكلهم الوطنية والثقافية والعلمية، وترجع أزمة المناهج بدورها إلى خطأين النعرة العلمية والنزعة الخطائية، الأولى تسود معظم دراسات المستشرقين والثانية تسود معظم دراسات المسلمين، وقد تعم النزعة الخطائية بعض دراسات المستشرقين عندما يقومون بتفريط في الحضارات التي يدرسونها، كما قد تعم النعرة دراسات المسلمين نظراً لتبعيتهم للمستشرقين³⁹².

ومن أجل تحجيم تلك الآثار ومحاصرتها، لابد من التنبيه على خطورة النشاط الاستشراقي في هذا المجال والإلمام بتقنياته التي استحدثها، وأساليبه الجديدة التي انتهجها، ومناهجه التي وظفها، دائرة حول علم الإنسان (أنثروبولوجية)، ونفسية (سيكولوجية)، وإحصائية واجتماعية (سوسيولوجية).

2- الآثار الاستشراق في المجال الثقافي والفكري

لقد حقق المستشرقون نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتراث علماء هذه الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً، أصبحت المصادر القريبة تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة، وهذه من خلال:

- تثبيت الجهود الفكرية والثقافية للمسلمين حيث قاموا بنشر آراء ونظريات غريبة فاسدة وإشغال المفكرين المسلمين بالرد عليها وقاموا بخلق حالة فوضى هدفها إبعاد علماء المسلمين عن التفكير في القضايا الإسلامية التي يواجهها العالم الإسلامي وعلاج هذه القضايا على أساس المنهج الإسلامي ثم سعوا إلى طرح بدائل علمانية وحلول غريبة بدعوى عجز الفكر الإسلامي عن إيجاد حلول للمشاكل الحديثة.

- نشر القيم الغربية من خلال الدعوة إلى الاتجاهات الأدبية والفنية التي لا تلائم المجتمعات الإسلامية وتعكس فيها قيماً غربية خالصة فقد بالغ المستشرقون في الاهتمام بذلك فقاموا بنشر وتحقيق نماذج من النصوص الأدبية السلبية في بعض المصادر الأدبية واعتبروها تقدمه من نماذج الحياة منحرفة على أنها من طبيعة الحياة الإسلامية ونشروا اتجاهات أدبية فنية غريبة تدعوا إلى الابتذال والانحلال والفساد باسم الأدب والفن وتلك الاتجاهات لا تعبر عن قيم المجتمع الإسلامي.

- كان الاستشراق دور في مجال الأدب شعرا و نثرا فقد استغلت هذه الوسائل في نقل الفكر الغربي العلماني وخاصة عن طريق ما سمي بـ (الحداثة) التي تدعوا إلى تحطيم السائد والموروث وتفجير اللغة ونقد النصوص المقدسة فقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد أن يقدم وجهة نظرا إلا و نعتوه بالتخلف³⁹³.

وقد اشتغلت في مصر كوكبة كاملة من من رجالات النهضة البارزين.. كـ "إبراهيم اليازجي" و"يعقوب صروف" و"سليم نقاش" و"أديب إسحاق" و"شبلي شميل" و"فرح أنطوان". وإذا كان الفكر التنويري يتحرك في مصر وسوريا، فهو يكاد يكون عديم الحركة في بلدان أخرى، إلا أن "ليفن" يستثني تونس، إذا كانت جهود خير الدين التونسي الموجهة إلى تحديث البلاد قد عادت بنتيجة قليلة الشأن³⁹⁴.

وهكذا يتجلى أمام أعين كل منا أهمية عناية العرب أفرادا وهيئات وجامعات ومعاهد بالاستشراق وما كان يقوم به علماءه من زمن بعيد حتى اليوم، مما أدى إلى تغلغل نفوذه، إذا تفرغ المستشرقون للبحث ومنحتهم أمهم المال والوقت. وكان من الطبيعي أن تتسم آثارهم بسمات التحقيق والمثابة والإطلاع والموازنة، ومراجعة الأصول أو المخطوطات ووضع الفهارس وغير ذلك مما كان مفقودا من الكتب العربية³⁹⁵.

والذي يعد من أخطر المجالات المستخدمة للتأثير في المجتمعات الإسلامية، فعن طريقه انتقلت الأفكار والمذاهب والنظريات الغربية في التاريخ والدين والاجتماع والفلسفة والأدب والفن والأخلاق خلال القرنين الأخيرين، ووجدت مكانها في الحياة لثقافية للمسلمين.

واستهدف الاستشراق بغزوه الثقافة الإسلامية تحقيق عدد من المطالب الخطيرة، منها:

- تشتيت الجهود الفكرية والثقافية والعلمية للمسلمين، بإشغالهم في الرد على النظريات والمذاهب الغربية غير الصالحة للمجتمع المسلم؛

- نشر القيم الغربية؛

- تشجيع الفكر غير العقلاني لتغيب العقل المسلم والتمكين لروح الخرافة والأسطورة³⁹⁶؛

- إحياء ثقافات النزعة القومية.

المطلب الثالث: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للفكر الإستشراقي في المجتمع المسلم

³⁹³ منتدى التوحيد: قسم الحوار عن المذاهب الفكرية 2005 / 08 / 17.

³⁹⁴ منتصف بوزفور: المرجع نفسه، ص، ص 377، 379.

³⁹⁵ أحمد سمائلوفيتش: مرجع سابق، ص 209.

³⁹⁶ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

1- الآثار الاجتماعية للفكر الإستشراقي في المجتمع المسلم: تتمثل في:

- تركزت جهود المستشرقين حول السعي إلى عزل المسلم عن طبيعة مجتمعه، وإبعاده عن عاداته وتقاليده، ومحاولة وضع أسس جديدة للحياة الاجتماعية الإسلامية، ومهد المستشرقون لذلك بالتشكيك في قيمة النظام الاجتماعي في الإسلام، ثم عمدوا إلى تقديم المجتمع الغربي في صورة أنموذج مثالي يحتذى من كل من أراد اللحاق بقطار التمدن، والفرار من المجتمعات الجامدة والمتخلفة³⁹⁷.

- للاستشراق أهداف اجتماعية واضحة التي من أجلها وجّه المستشرقون بحوثهم لدراسة المجتمعات الإسلامية للتعرف على أوضاعها المختلفة، ووضع الخطط لإحداث التغييرات الاجتماعية من خلال معرفة علمية واعية بطبيعة المجتمعات الإسلامية ومواطن الضعف فيها، بغية تغيير المجتمع الإسلامي وتحويله إلى مجتمع غربي، وقد تركّزت جهودهم في وضع خطط لعزل الإنسان المسلم عن مجتمعه الإسلامي وإبعاده عن عاداته وتقاليده الاجتماعية الإسلامية، فعملوا على تشكيك المسلمين في نظمهم الاجتماعية وإثارة الشبهات حول القيم الاجتماعية في الإسلام، وتشويه صورة المجتمع المسلم، وتصويره بكل أشكال التخلف والركود، وردّ هذا التخلف إلى قيم الإسلام الجامدة³⁹⁸.

- تمّ تقديم المجتمع الغربي في صورة مثالية نموذجية واصفة محاسن هذا المجتمع، وقد ثرت هذه الصورة للمجتمع الغربي في عقول ووجدان المسلمين الذين وقعوا تحت تأثير الاستشراق والفكر الغربي، وبدأ التخطيط لإقامة مجتمعات إسلامية على أساسا الفكر الغربي.

- كما أنّ القيم الغربية انتقلت إلى الأسرة المسلمة بتأثير من الفكر الاستشراقي خاصة التفكك الأسري الذي بدأت تعاني منه الأسرة المسلمة في مجال العلاقات الأسرية، من خلال الحريات المفرطة سواء للأبناء أو البنات دون رقابة.

- ركز الاستشراق على وضع المرأة داخل الأسرة وخارجها، فنقد وضع المرأة في المجتمع الإسلامي أنّها أسيرة الرجل ولا تتمتع بأي حقوق ولا حريات، وركز على ضرورة المساواة بينها وبين الرجل³⁹⁹.

- أفاد الاستعمار الاستشراق بفوائد جمّة وعمل على تغذيته ورفع مكانته، ذلك أنّ الهدف الاستعماري لا ينفك عن الهدف الاستشراقي في العصر الحديث، وقد نجح المستعمرون في توظيف المؤسسة الاستشرقية الغربي في خدمة أغراضهم، وتحقيق أهدافهم، وتمكين سلطاتهم في بلاد المسلمين⁴⁰⁰.

³⁹⁷ عبد الله يوسف سهر محمد: المرجع السابق، ص 21.

³⁹⁸ محمد خليفة حسن أحمد: المرجع السابق، ص، ص 53، 54.

³⁹⁹ صالح حمد حسن أشرف: المرجع السابق، ص، ص 25، 26.

⁴⁰⁰ محمد عبد الله الشرقاوي: المرجع السابق، ص 67.

وقد صحت أوروبا من غفوتها الطويلة بالاحتكاك الحربي والسلمي بالمسلمين في الشرق والغرب. وتزعم أوروبا أنّها لم تأخذ عن المسلمين إلاّ التراث الإغريقي الذي كانت قد أضاعته في عصورها المظلمة، فوجدته محفوظاً عند المسلمين فاستردته، وأقامت نهضتها على أساسه⁴⁰¹.

- نشأ ربط رسمي وثيق بين مؤسسة الاستعمار ومؤسسة الاستشراق، وقد خاض هذا كثير من المستشرقين وذلك لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه.

- لقد كان الاستشراق هدف لترشيد الاستعمار الأوروبي على أساس التاريخ لخدمة مصالح ذاتية في الغرب اتّجاه الشرق، لاعتباره أقلّ شأنًا، وبالتالي في حاجة إلى التدخل الغربي أو الإنقاذ⁴⁰².

- تغريب المجتمع المسلم من خلال التأثير في قيم الأسرة المسلمة.

- الغارة على المرأة المسلمة، ودعوها للتحرر من القيود المزعومة التي تكبلها، وإثارة موضوع تعدد الزوجات بصفته أحد أهم مظاهر امتهان كرامة المرأة. بأن تقدم نموذجاً للمجتمعات الإسلامية يحاكي نموذج التجربة الغربية، كان نتاج هذا التزاوج بين الاستشراق التقليدي والحديث، المناداة بالعلمانية وتهميش دور الدين، بل توظيفه في خدمة السياسة النخبوية العلمانية⁴⁰³.

إنّ قراءة أولية من أحوال التعليم في المجتمع العربي بعد الحرب العالمية الثانية، ترينا إلى أيّ مدى لعبت ظروف الاحتلال ونزعات التتريك ومن بعد هيمنة لغتي الاستعمارين الإنجليزي والفرنسي دوراً في تجهيل هذا المجتمع وتفريغها من الوعي ومن ثمّ إعدادها لتقبّل الولايات والكوارث الوطنية التي توجّعت باحتلال فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الثانية⁴⁰⁴.

2- آثار الفكر الإستشراقي في المجال الاقتصادي: سعى الغرب إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي، وذلك من أجل محاربة النظام الاقتصادي من خلال نقد النظام الاقتصادي الإسلامي بأنه عاجز على حل المشكلات الاقتصادية وحينها اهتم المستشرقون الغربيون في شرح النظرية الرأسمالية والشيوعيون بشرح النظرية الاشتراكية والعمل على نشرها في البلاد الإسلامية التي وقعت تحت نفوذهم أما التدهور الاقتصادي الإسلامي في الماضي لم يكن سببه خلل أو ضعف في النظام الاقتصادي الإسلامي لكنه يعود إلى الحرب الاقتصادية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي وما نتج عن ذلك هو التبعية للغرب اقتصادياً، وكذلك:

⁴⁰¹ محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة الديمقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية الإلحاد، ط9، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001، ص 513.

⁴⁰² خالد عيد المنعم: المرجع السابق، ص 7.

⁴⁰³ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

⁴⁰⁴ خيرى منصور: الاستشراق والوعي السالب، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص، ص 294، 295.

- ضياع الوحدة بين المسلمين.

- تعطيل المؤسسات الاقتصادية الإسلامية في نظام السوق الغربي والقضاء على القيم الإسلامية والجهود التنموية للمجتمعات الإسلامية⁴⁰⁵.

- وكان من تأثير الاستشراق أيضا تشجيع الصناعة في البلاد الغربية والإسلامية دون الاستعداد الكافي وإهمال قطاع الزراعة فقد اقتنع العالم الغربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة ولذلك أهملت الزراعة إهمالا شبه كلي ومزال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية.

- عرقلة البرامج الاقتصادية الإسلامية والجهود التنموية للمجتمعات الإسلامية، فما نراه اليوم من تأخر للأمم الإسلامية وجعلها في آخر الركن هو بُعدها عن منهجها ومبادئها السامية فكانت النتيجة التبعية للغرب⁴⁰⁶.

ومن أبرز الشبهات التي ساقها هؤلاء المستشرقون لدعم آرائهم المسبقة: أنّ قسوة الحياة المادية والاقتصادية هي التي دفعت المسلمين للتطلع إلى ما في البلاد التي فتحوها من موارد اقتصادية، فحاولوا تفسيرها انطلاقا تاريخهم الأوروبي ونظرتهم المادية للأمور، فقد كانت الفتوحات في نظرهم بحثا عن الغنائم والمكاسب المادية⁴⁰⁷.

وقعت المجتمعات الإسلامية بفعل الاستشراق تحت تأثير جاذبية الإعجاب بأحد نظامين اقتصاديين متناقضين هما: النظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي كبديل للنظام الاقتصادي الإسلامي. فمن خلال اتهام النظام الإسلامي بالعجز عن حل المشكلات الاقتصادية التي تواجه بلدانه، وعن طريق إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والاشتراكية كنوع من التأصيل للنظريتين وإثبات عدم خروجهما عن النظام الاقتصادي الإسلامي، مما قاد إلى:

- ضياع الوحدة الاقتصادية للمسلمين؛

- تبعية العالم الإسلامي اقتصاديا للغرب؛

- تعطيل المؤسسات الاقتصادية الإسلامية؛

- عرقلة البرامج الاقتصادية وجهود التنمية في المجتمعات الإسلامية⁴⁰⁸.

⁴⁰⁵ صالح حمد حسن الأشرف: المرجع السابق، ص، ص 26-27.

⁴⁰⁶ محمد قطب: واقعنا المعاصر، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997، ص 324.

⁴⁰⁷ صلاح الدين حسين خضير: المرجع السابق، ص 424.

⁴⁰⁸ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 119.

المبحث الثالث: طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي وسبل مواجهته

أثر الاستشراق في الفكر العربي ولا زال، سواء بشكله الإيجابي أو السلبي كما سبق التطرق إليه أعلاه، خصوصاً في جانبه السلبي والذي يتطلب معرفة طبيعة هذا التأثير وكذا السبل الكفيلة لمواجهته.

المطلب الأول: طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي

بعد أن برز أمامنا أثر الاستشراق ، يجدر بنا أن نتساءل عن طبيعة أثره.

1- طبيعة أثر الاستشراق من الناحية المنهجية: لقد استطاع الاستشراق أن يوجه علماء العرب المحدثين إلى تحقيق مخطوطاتهم، وإحياء تراثهم، وتأريخ آدابهم ويحملهم على الاهتمام بمعاجمهم، وتنظيم مباحثهم، والإحاطة بأعلامهم والبحث في علومهم والنفاذ إلى تأثيرهم وتأثيرهم، وتفهم مكانتهم في الفكر العالمي .

وهكذا درس العرب المحدثون أدبهم على نهج بروكلمان، ونيكولسن، وبلاشير وجيب، ومرجوليوث... وغيرهم، حتى لا تكاد تخلو جامعة عربية، بل جامعة إسلامية منهم، ولا باحث عربي في الفكر العربي وثقافته، من أثر هؤلاء وطريقتهم ومنهجهم (علماء النهضة).

2- طبيعة أثر الاستشراق من الناحية الموضوعية: أثار المستشرقون في العالم العربي مسائل كثيرة أثارت اهتمام عدد من علماء العرب المحدثين، فكانت موضوع مؤلفاتهم وبحوثهم ودراساتهم ولن نذهب أبعد من القرن التاسع عشر، حيث كان لقاء الطهطاوي مع المدرسة الاستشراقية الفرنسية واتصاله الدائم بعميد المستشرقين الأوروبيين البارون "سلفستر دي ساسي"، وتلاميذه أمثال "كوسين دي برسوال"، و"جوزيف رينو"، أول لقاء للعقل العربي مع دراسات المستشرقين الفرنسيين ولقد أثار الجانب الديني والعلمي لدى هؤلاء اهتمام الطهطاوي.

وكل من يقرأ كتابه "تخليص الإبريز في تاريخ باريز" يلاحظ هذا بكل وضوح إذ عدد الطهطاوي فيه بعض الكتب العربية مثل "تقويم البلدان لأبي الفداء"، "نزهة المشتاق" للإدريسي، و"نشق الأزهار في عجائب الأقطار" لابن إياس، وغيرها، التي طبعت في أوروبا قبل ذهابه إليها، أو خلال وجوده فيها.

ومادام قد أصبح جليًا ما كان من أثر الاستشراق في أدب الطهطاوي واتجاهه الفكري، فقد أضحي واضحاً ما كان له من أثر في الأدب العربي الحديث. ولو أضفنا إلى ذلك، إسهام الطهطاوي في النهضة الأدبية الحديثة لاستطعنا أن ننفذ إلى إسهام الإستشراق فيها كذلك⁴⁰⁹.

هذا ويعتبر "ليفن" الطهطاوي رائد التنوير العربي، ثم إن المحتوى الأساسي للفكر التنويري العربي يتمثل في النضال الفكري السياسي الذي خاضته القوى التقدمية، التي كانت تحاول تخليص العالم العربي من الركود الإقطاعي وتحريره من الاستبداد السياسي. ولم يكن تغلغل هذا الفكر التنويري بالنسبة إليه إلا نتيجة تغلغل الفلسفة التنويرية الفرنسية وأفكار الثورة الفرنسية في الشرق العربي⁴¹⁰.

ومن ليس من الخطأ القول بأن الدراسات الإستشراقية، أسهمت في تكوين الظروف المناسبة للنهضة العربية واليقظة الفكرية التي شهدتها العالم العربي في بداية القرن العشرين إذ من المؤكد أن الحضارة الإسلامية شهدت ركوداً واضحاً وجموداً في العهد العثماني، وتوقفت الحركة العلمية وتراجعت مظاهر الحياة في العالم العربي، وشاعت قيم وتقاليد تكرر التخلف وتنظر بعين الريبة والحذر والرفض لكل حركة ثقافية حية، ولكل مدرسة علمية ترفع شعار التجديد وتدين مظاهر التخلف⁴¹¹.

واتسعت دائرة التطلع لحركة إصلاحية، دينية وثقافية واجتماعية، وظهرت حركات سلفية دينية داعية لتصحيح المفاهيم الدينية وأعقبها موجات من دعوات للإصلاح الاجتماعي والسياسي والإداري، وظهرت فكرة القوميات، وثمرت كظاهرة رفض للواقع.

وقد استفاد رموز الإصلاح من اتصاهاهم بالحضارة العربية، وعادت مواكب الموفدين من الجامعات الأوروبية يحملون معهم أفكاراً إصلاحية، في مجال المناهج التعليمية والحريات العامة والتنظيمات السياسية والإصلاح الاجتماعي والإداري والقضائي⁴¹². كما يقول... وهذا لا يتم إلا إذا تخلّص الشرق من السيطرة الأوروبية، قد ينجحون في تجديد مجتمعاتهم من الداخل فيلتقون بالغرب على أساس من التعاون المتبادل ويقتبسون شيئاً من علومه وإنسانيته اقتباساً جوهرياً يتلاءم مع تراثهم وتقاليدهم⁴¹³.

المطلب الثاني: سبل المواجهة

⁴⁰⁹ أحمد سمائلوفيتش: مرجع سابق، ص - ص 606-609.

⁴¹⁰ منصف بوزفور: المرجع السابق، ص، 37.

⁴¹¹ محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص 36.

⁴¹² محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص، ص 35، 36.

⁴¹³ برنارد لويس: العرب في التاريخ، تر، نبيه أمين فارس، محمود يوسف زايد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1954، ص، 254.

إنّ المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكلّ جدية، ونأخذ في الحسبان أن لها آثارا كبيرة في قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي، وفي العالم الغربي على السواء، ولهذا لا بدّ من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة... ومواجهته لا بد أن تكون على المستوى العالمي⁴¹⁴.

1- الاهتمام بالتعليم الإسلامي فتكون "التربية الدينية" مادة أساسية فعلية في كلّ مراحل التعليم، بما فيه التعليم العالي بكلّ كلياته: يستوي في ذلك الكليات النظرية والكليات العلمية⁴¹⁵.

2- إنشاء مراكز متخصصة للدراسات الاستشراقية، وتضم نخبة من الباحثين في مختلف الاختصاصات الإنسانية وذات العلاقة⁴¹⁶، إضافة إلى الدراسة العلمية الواعية من قبل مراكز بحوث متخصصة، تلك المراكز المفتقدة في العالم الإسلامي باستثناء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والتي أنشأت قسما علميا أكاديميا للاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، ومركزا للدراسات الاستشراقية والحضارية بها، بالإضافة إلى وحدة للبحوث الاستشراقية بعمادة البحث العلمي بالرياض⁴¹⁷.

2- المعرفة بالنتاج الاستشراقي لاستنباط السمين والغث فيه، وهذا يقتضي إعداد الدراسات والمسوح والتقارير عن وضع الدراسات الاستشراقية في الدول الأجنبية المختلفة، وتخصيص جزء من الدوريات العربية المعنية لمتابعة آخر تطورات ومواجهه آخر ما يصدر عنه من كتب ومجلات ونشرات، وأنشطة علمية أخرى كالزيارات المباشرة لمراكز الاستشراق وغيرها من الوسائل⁴¹⁸.

2- فتح أقسام للاستشراق على مستوى الدراسات العليا في الجامعات، وتشجيع الدارسين على التخصص فيه.

3- رفد المكتبات والمراكز البحثية بالكتب والبحوث والدوريات الخاصة بدراسات الاستشراق، وتيسيرها للباحثين. إعادة النظر في كتابات ومؤلفات المستشرقين وتقديمها للقارئ والدارسين مشفوعة بالدراسات النقدية والتحليلية من ذوي الاختصاص، مع إبراز الأعمال الجيدة والمنصفة للمستشرقين التي تتسم بالمنهج العلمي الرصين⁴¹⁹.

2- تحصين المسلمين ضد أفكار الاستشراق الهدامة بدعوتهم إلى التمسك بدينهم وتفقههم في أموره.

⁴¹⁴ محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق ص، ص 137، 138.

⁴¹⁵ جابر قميحة: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، السنة 10، العدد 116، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1412هـ/ 1991م، ص 88.

⁴¹⁶ صلاح الدين حسين خضير: المرجع السابق، ص 425.

⁴¹⁷ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 120.

⁴¹⁸ علي بن إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم، المرجع السابق، ص 226.

⁴¹⁹ صلاح الدين حسين خضير: المرجع السابق، ص 425.

3- حث وسائل الإعلام على مراجعة ما تبثه من مواد معادية للفكر الإسلامي وعينة على تسرب الآراء المنحرفة إلى المجتمعات الإسلامية.

4- تنقية الفكر الإسلامي مما شابه من أفكار مدسوسة عليه عبر رحلته الطويلة.

5- توفير الكتاب الإسلامي البديل للكتاب الاستشراقي⁴²⁰.

6- إعداد دائرة معارف إسلامية كي تحل محل دوائر المعارف الاستشراقية، وقد دعت المنظمة العربية للتربية والعلوم الثقافية في القاهرة نهاية 1979 إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد "موسوعة للرد على المستشرقين"، حيث حضر الندوة عدد يزيد على العشرين من العلماء والمفكرين... ثم قضي الأمر ونامت الفكرة. ولعل ذلك راجع إلى الظروف السياسية التي سادت المنطقة العربية عقب الندوة بفترة قصيرة⁴²¹.

7- الإسراع في تنمية المجتمعات الإسلامية بضوابط وحلول إسلامية.

8- دعم مؤسسات الدعوة الإسلامية لتكون قادرة على مواجهة الاستشراق بإمكاناته الهائلة⁴²².

9- لیسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، مع مراعاة الجوانب المحمودة التي يمتاز بها المستشرقون، بل والزيادة فيها، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة، التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها، واستدلالها القوي، بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإتيقان والصحة، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية⁴²³.

10- الاستغراب⁴²⁴؛ للنهوض بهذا الاستغراب ينبغي أن تميز من البداية بين الاستشراق وبين الاستغراب، وينبغي كمجتمع عربي له طموحه نحو التقدم والرفي أن يستفيد من التجربة التي مرّ بها المستشرقون... فالاستغراب لابد أن يكون متميّزا ومختلفا بصورة واضحة عن الاستشراق. وأعتقد أنهم في الغرب سيرحبون كثيرا بمثل هذا المشروع لأنهم سيستفيدون من هذا المشروع أكثر مما استفادوا من الاستشراق⁴²⁵.

⁴²⁰ عبد الراضي: المرجع السابق، ص 120.

⁴²¹ محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص 137، 138.

⁴²² عبد الراضي: المرجع السابق، ص 120.

⁴²³ أبو حسن علي الحسيني الندوي: المرجع السابق، ص 20.

⁴²⁴ الاستغراب: هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من "الاستشراق"، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق)، من خلال الآخر (الغرب) يهدف "علم الاستغراب" إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر. أنظر: حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، د ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 29.

⁴²⁵ أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب المثقفون العرب والغرب، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، 2000، ص 253.

وإذا كان المفكرون الغربيون قد تعاملوا مع الشرق في ضوء علم الاستشراق باعتباره خطابا استعماريًا وكولونياليًا من أجل إخضاعه حضاريًا، والهيمنة عليه سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًا، فإنّ المثقفين الذين ينتمون للاستغراب كحسن حنفي -مثلاً- يدعون إلى استشراق مضاد أو ما يسمى بعلم الاستغراب بغية تفكيك الثقافة الغربية تشريحًا وتركيبًا، وتقويض خطاب التمرکز تشتيتًا وتأجيلًا، وفضح مقصدية الهيمنة على أسس علمية موضوعية.⁴²⁶

11- أن تتضح لدينا ولدى المسلمين حقائق المواجهة، فتكوين موقف إسلامي من الاستشراق وآثاره في المجتمعات الإسلامية يجب أن يتم في ضوء معرفة بعض الحقائق، منها أنّ الاستشراق ظاهرة فكرية قديمة باقية ومستمرة طالما أن الصراع بين الشرق والغرب باقٍ على مستوياته الدينية والسياسية والفكرية.⁴²⁷

12- الكتابة الراشدة الموجهة من قبل علماء المسلمين في موضوعات القرآن والسنة والسيرة النبوية الشريفة،

13- الاهتمام بالدراسات والأبحاث العلمية التي تعري أعمال المستشرقين.

14- على الحكومات والجمعيات المسلمة بتأهيل عدد كافٍ يعرف لغة المستشرقين، ويترجم ما يغزونا به ويرد بالطريقة العلمية.

15- على الجامعات أن تقوم بتدريب طلاب الشريعة بطرق وسبل الرد على شبهات المستشرقين وتفنيدها.⁴²⁸

16- السعي لإحداث الانقلاب الفكري والنظري؛ أي تغيير أفكار الناس، وطبع عقائدهم ومشاعرهم ووجهة نظرهم الخلقية بطابع الإسلام، وإصلاح نظام التعليم والتربية، وإحياء العلوم والفنون الإسلامية، وبالجملية بعث العقلية الإسلامية من جديد.⁴²⁹

17- إعادة الهوية الأزهرية للأزهر حتى يستطيع أن يمارس رسالته التاريخية والعالمية... ويكون ذلك بالتدرج بناء على خطة تستغرق خمس أو عشر سنوات.⁴³⁰

⁴²⁶ جميل حمداوي: الاستشراق والاستمزاغ والاستغراب والاستغراب (مقاربة مفاهيمية)، مجلة دراسات استشرافية، العدد 19، صيف 2019، ص 126، 127.

⁴²⁷ اتجاهات فكرية معاصرة، ج 1، جامعة المدينة، د س، ص 321.

⁴²⁸ صالح حمد حسن الأشرف، المرجع السابق، ص 29.

⁴²⁹ محجوب أحمد طه: نظرة المستشرقين للإصلاح والتجديد في الإسلام (دراسة نقدية)، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 16، 1429هـ/ 2008م، ص 5.

⁴³⁰ جابر قميحة: المرجع السابق، ص 88.

خلاصة الفصل:

لقد أثر الاستشراق تأثيرا عميقا في الفكر والعقل العربي سلبا أكثر منه إيجابا في جميع الميادين الحياتية، ويعود كل ذلك إلى الانبهار الكبير في عقل الفرد العربي وتأثره بالعقل الغربي ، و لعل أهم سبب في ذلك هو البعد عن الدين الإسلامي، وضعف الإيمان الذي نتج عنه التخلي عن تاريخنا وحضارتنا والبقاء تحت رحمة الغرب وسلطاته السياسية ومراكزه العلمية وإنتاجياته الاقتصادية وكل طرائق عيشه. حتى أصبحنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "للتبعن سنن من قبلكم .. ولو دخلوا جب ضب لدخلموه".

خاتمة

خاتمة:

وخلاصة القول يتبين لنا مما سبق ذكره:

يتضح أن الإستشراق تيار فكري يتجه صوب الشرق لدراسة حضارته أديانه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخا مشوها للثقافة الغربي، وذلك ببث الدونية فيهم، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، والنيل من لغتهم وتشويه عقيدتهم وقيمهم، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم، وخدم العقيدة الإسلامية، وأثر في محدثيهم، فبدأت كتاباتهم تنجح نحو العلمية وتنحو نحو العمق بدل السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يندثر الآن بدثار الموضوعية.

أنّ الاستشراق عبارة عن حركة فكرية وسياسية ودينية وتبشيرية وتنصيرية غرضها دراسة الشرق لإخضاعه سياسيا وعسكريا ومجتمعا، وتشويهه دينيا وروحيا، واستغلاله اقتصاديا، ولقد استعمل المستشرقون الغربيون جميع الوسائل المادية والمالية والعلمية لفهم الشرق، وتشويه الإسلام والمسلمين والخط من قيمة الحضارة العربية الإسلامية. ومن هنا سيطر الاستشراق بكل صوره القديمة والحديثة حاضرا بنسب مختلفة، فالاستشراق بشكله القديم كان يتصدر الصورة لكثرة الإنتاج الفكري والمعرفي للأمة في ذلك الوقت، وكان معينا لا ينضب ومتعدد وتحدد، وانشغلت الحركة الاستشراقية بدراسة هذا الإنتاج وتفكيكه وقراءته والتعرف على مناهجه، ثم انتقلت الحركة الاستشراقية بعد تراجع الحضارة الإسلامية في صور جديدة متمثلة في مراكز بحثية فكرية، ثم انتقلت إلى مرحلة الاستيعاب والتجاوز. استيعاب الشرق بكل تراثه ثم تجاوز تلك الحضارة بعلومها وأفكارها وأشخاصها، وإنتاج مفاهيم العولمة والحداثة وما بعد الحداثة، وأصبحت تمتلك تأثير الصورة من خلال الإعلام المرئي، وساهمت وسائل وقام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة. ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية. وقد تلقى كثير من أبناء المسلمين العلوم الإسلامية على أيدي المستشرقين. ولم يتوقف الأمر عند هذا، فقد استضافت الجامعات العربية والإسلامية عددا من هؤلاء للتدريس فيها كما حدث في الجامعة المصرية حين استضافت بعض المستشرقين لتدريس آداب اللغة العربية.

وتلقف بعض مفكري العربية وعلمائها أعمال المستشرقين بشغف وانبهار مثل طه حسين الذي تبني إحياء الفرعونية في مصر التي هي من صلب أهداف المستشرقين بإحيائهم الحضارات القديمة الآشورية والبربرية والفينيقية، للقضاء على روح الإسلام التوحيدية، و العشماوي وطه محمد ومحمود وغيرهم الذين ادّعوا عدم وجوب الصيام وتحريم التعدد.

في حين آثر آخرون الموضوعية والإنصاف لجهود المستشرقين الضخمة أحيانا في موقف أركون ومحمد علي كرد وبنيت الشاطي، وبالتشكيك والنقد والرفض المتشدد أحيانا أخرى من طرف أنور عبد الملك ومحمد البهي وإدوارد سعيد.

أما عن رؤية إدوارد سعيد فقد استخلص أن العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة من القوة والسيطرة، ومن درجات مختلفة من الهيمنة المعقدة المتشابكة، هذه العلاقات وهذه الدرجات من الهيمنة لم تعد اليوم هي نفسها. فالأمر اليوم يستدعي نظام من الإنشاء يتناسب مع نظام العالم الجديد.

وكل هذا يجعلنا نحرص تمام الحرص على تعميق دراسة الإستشراق والمشاركة الإيجابية في تقويم نشاطات المستشرقين وحضور المؤتمرات العالمية لإعطاء الصورة الحقيقية عن الشرق المسلم وإلا فسيتمكن من يريد التشويه من مراداته السيئة وهو ما لا نريد.

ومما لا شك فيه:

أنّ الاستشراق الموضوعي قد قدّم خدما تحليلية للحضارة العربية الإسلامية، بتحقيق نصوصها ومخطوطاتها ونشرها من جهة أولى، ودراساتها وتحليلها وتأويلها من جهة ثانية، والتعريف بأعلامها وفكرها وثقافتها علومها من جهة ثالثة.

وأنّ للمستشرقين فضلا كبيرا في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محققة مفهومة مبوبة. ولا شك أنّ الكثير منهم يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث. في حين، هناك استشراق استعماري وكنسي وعنصري وعرقي غير علمي أساء إلى المسلمين وحضارتهم جملة وتفصيلا.

والإنصاف يقضي أن يعطى كلّ ذي حقّ حقه، وأن لا تظلم حركة الاستشراق عموما بسبب غلبة الطابع السلبي عليها، وما ظهر فيها من أعمال ذات أهداف مشبوهة.

وعلى المسلم إلا أن يلتقط الخير من مؤلفاتهم متنبها إلى مواطن الدس والتحريف ليتجنبها أو ليكشفها أو ليرد عليها لأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها، وخاصة وأن الفكر الإستشراقي بدأ يغير من أساليبه وقسماته من اجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي وإقامة حوار بين المسيحية والإسلام وإقامة حوار بين المسيحية والإسلام، ومحاولة تغيير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم فلنكن حذرين.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم (01): إحصائيات الاتجاهات الفكرية للمستشرقين

الفن	عدد الكتب
التصوف	40
التراجم والتاريخ	28
تفسير	2
لغة ونحو	3
أدب	3
بلاغة	3
رحلات وجغرافيا	4
شعر وطرائف	3
فقه	4
علوم	3

الملحق رقم (02): إحصائيات الاتجاهات الفكرية للمستشرقين

الفن	عدد الكتب
التصوف والأخلاق	4
الديانات	2
عقيدة وكلام	2
تاريخ	7
تراجم	15
سيرة	2
حديث	1
أدب	1
شعر	1
لغة ونحو	1

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر

- 1- القرآن الكريم.
- 2- إجننتس جولد تسيهر: تر عبد الحليم النجار: مذاهب التفسير الإسلامي، تر، عبد الحليم النجار، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1955.
- 3- أحمد أمين: يوم الإسلام، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر العربية، 2012.
- 4- إدوارد سعيد: تعقبات على الإستشراق، تر، صبحي حديدي، ط1، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996.
- 5- إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة والسلطة والإنشاء، ، تر. كمال أبو ديب، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1978.
- 6- إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008.
- 7- إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة، محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- 8- أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، د ط، مكتبة الأسرة، مصر، 2003.
- 9- آنا ماري شمل: روعي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، تر، لميس فايد، ط1، الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- 10- آنا ماري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة، محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، (ألمانيا)- بغداد، 2006.
- 11- برنارد لويس: العرب في التاريخ، تر، نبيه أمين فارس، محمود يوسف زايد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1954.
- 12- جان بياجيه، الإبتستومولوجيا التكوينية، تر، السيد نفادي، التكوين، دمشق، سوريا، 2004.
- 13- جوزيف شاخ، كليفور بوزورث: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، ط3، ج1، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
- 14- جوستاف بفانمولر: الإسلام في الفكر الاستشراقي، ترجمة، محمود حمدي زقزوق، ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، 1923.
- 15- دوجلاس ليتل: الاستشراق الأمريكي الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط منذ 1945، ترجمة طلعت الشايب، دار قلم، بيروت، لبنان، 2009.

-
- 16- روجي أرناالديز: ثلاثة رسل لإله واحد، ترجمة سعدي رشيد، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- 17- روجيه جارودي: الإسلام دين المستقبل، ترجمة، عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983.
- 18- روجيه جارودي: الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نخضة المسلمين، ترجمة، كمال جاد الله، د ط، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، د س.
- 19- روجيه جارودي: لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، إعداد، محمد عثمان الحسن، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، 1986.
- 20- رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، ترجمة مصطفى ماهر، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2011.
- 21- ريتشارد سوزن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، ط2، دار المدار الإسلامي، إفنجي، بيروت، لبنان، 2006.
- 22- زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، ترجمة فاروق بيوض وكمال دسوقي، ط 8، دار الجيل، بيروت، لبنان، د س.
- 23- زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته - الصراع على تفسير الشرق الأوسط، ترجمة شريف يونس، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2007.
- 24- شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي la conquête du monde musulman، تر، مساعد اليافي ومحج الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر الحديث، جدة، 1387هـ.
- 25- شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2014.
- 26- شبلي شميل: فلسفة النشوء والارتقاء، ط1، دار المارون عبود، بيروت، لبنان، 1983.
- 27- طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2012.
- 28- طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط3، مطبعة فاروق "محمد عبد الرحمن محمد، القاهرة، مصر، 1933.
- 29- عمر فاخوري: آراء غربية في مسائل شرقية، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، سوريا، 1925.
- 30- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين، ط1، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، 1969.
- 31- محمد أركون: العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، ط3، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1996.

-
- 32- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر، هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، المنارة، لبنان، 1996.
- 33- محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر، هاشم صالح، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005.
- 34- محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر، هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء الوطني، بيروت، لبنان، 1996.
- 35- محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، تر، صالح هاشم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- 36- محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة الديمقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية الإلحاد، ط9، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001.
- 37- محمد قطب: واقعنا المعاصر، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997.
- 38- البهي محمد: الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1961.
- 39- البهي محمد: المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، مصر، دس.
- 40- البهي محمد: حياتي في رحاب الأزهر طالب وأستاذ ووزير، مكتبة وهبة للنشر، مصر، دس.
- 41- محمود محمد طه: الإسلام برسائلته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، السودان، 1969.
- 42- محمود محمد طه: الإسلام، ط2، أم درمان، السودان، أوت 1968.
- 43- محمود محمد طه: الرسالة الثانية من الإسلام، ط4، أم درمان، السودان، 1971.
- 44- محمد سعيد العشماوي: جوهر الإسلام، ط4، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، مصر، 1996.
- 45- محمود أبورية: أضواء على السنة النبوية، أو دفاع عن الحديث، ط6، دار المعارف، كورنيش النيل - القاهرة، مصر، 1994.
- 46- مكسيم رودنسون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، التنوير، الإسكندرية، مصر، 2003.
- 47- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997.
- 48- مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، دس.
- 49- نجيب العقيقي: المستشرقون، ط4، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، دس.
- 50- نجيب العقيقي: المستشرقون، ط4، ج2، دار المعارف، القاهرة، مصر، دس.

- 51- نجيب العقيقي: المستشرقون، ط4، ج3، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.س.
- 52- يوحنا كريستوف بيرجل: أنثا ماري شيميل نموذج مشرق للاستشراق، ترجمة، ثابت عيد، ط1، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1998.
- 53- القرضاوي يوسف: التطرف العلماني في مواجهة افسلام (نموذج تركيا، تونس)، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1968.
- 54- كبراج يوسف، كروب منفرد وآخرون: تأملات في الشرق تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، تر: محمد صبح وعدنان حسن، ط1، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.
- 55- يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.
- 56- يحيى مراد: ردود على شبهات المستشرقين، دار الفكر المعاصر، صنعاء، د.س.
- 57- يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2006.
- 58- يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، تر. عمر لطفي العالم، ط2، دار الدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004.

ثانيا: قائمة المراجع

1- الكتب:

- 59- إبراهيم محمد الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام، دط، دار الفكر العربي، مصر، 1992.
- 60- إبراهيم محمد الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي 3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994.
- 61- إبراهيم محمد الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994.
- 62- أحمد إبراهيم خليل: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، مصر، 1964.
- 63- أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب المثقفون العرب والغرب، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، مصر، 2000.
- 64- أحمد بشير وآخرون: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1981.

-
- 65- أحمد سمائلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ب.ط ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998.
- 66- أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، 1996.
- 67- أحمد محمد محمد فرح عطية: طه حسين والفكر الاستشراقي، ط1، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2014.
- 68- إسماعيل أحمد عمارة : المستشرقون والمناهج اللغوية، ط2، دار حنين، عمان، 1992.
- 69- إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ط2، دار حنين، القاهرة، 1992.
- 70- إسماعيل أحمد عمارة: المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ط2، دار حنين، الأردن، 1992.
- 71- إسماعيل محمد علي: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط3، الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.
- 72- إسماعيل محمد علي: مفتريات المستشرقين وتلاميذهم على الإسلام رد على كتاب محمد واليهود نظرة جديدة، ط2، دار الكلمة للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، 2018.
- 73- آمنة الجبلأوي: الإسلام المبكر الاستشراق الأنجلوسكسوني الجديد باتريساكرون ومايكل كوك أنموذجا، ط1، منشورات الجمل، ألمانيا، 2008.
- 74- أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د س.
- 75- أنور الجندي: أهداف التغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف، مصر، د س.
- 76- بن إبراهيم علي الحمّد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم ، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية، ص السعودية، 1998.
- 77- بن إبراهيم علي الحمّد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998.
- 78- بن إبراهيم علي النملة: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996.
- 79- بن إبراهيم علي النملة: الاستشراق مصدرا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر، شبكة الألوكة، المملكة العربية السعودية، 1999.

-
- 80- بن إبراهيم علي النملة: الفكر المعاصر صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، 2008.
- 81- بن إبراهيم علي النملة: كنه الاستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات، ط3، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 2011.
- 82- بن إبراهيم علي النملة: نقد الفكر الإستشراقي حول الإسلام والقرآن الكريم والرسالة، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، الرياض، 2010.
- 83- بن إبراهيم علي النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.
- 84- بنسالم حميش: العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2011.
- 85- الجلنيد محمد السيد: الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.
- 86- حسن حنفي: التراث التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، مؤسسة هنداوي للنشر، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، 2017.
- 87- حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، د ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- 88- حسين عقله: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، ط1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004.
- 89- خالد بن عبد الله القاسم: مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2010.
- 90- خالد بن عبد الله القاسم: مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2010.
- 91- خيرى منصور: الاستشراق والوعي السالب، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، 2001.
- 92- الدعيمي محمد: الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- 93- زكريا هاشم زكريا: آراء فلاسفة وعباقرة الغرب في الإسلام، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، مصر، 2000.
- 94- زكريا هاشم زكريا: المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1965.
- 95- سعد المرصفي: المستشرقون والسنة، دط، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1990.
- 96- سعدون الساموك: الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2003.

-
- 97- سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.
- 98- سهام ربيع عبد الله: الاستشراق، ط1، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007.
- 99- سهر عبد الله يوسف محمد: مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2001.
- 100- سيد عبد الله ماجد الغوري: مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ط1، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2002.
- 101- شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين و المبشرين، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1998.
- 102- شوقي أبو خليل: الحوار دائما وحوار مع مستشرق، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1994.
- 103- الشيباني المبروك المنصوري: صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، 2014.
- 104- صبرة عفاف: المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 1985.
- 105- صلاح الجابري: الاستشراق قراءة نقدية، ط1، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، دمشق، سوريا، 2009.
- 106- صلاح الصاوي: موقف الاسلام من العلمانية، ط1، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 2001.
- 107- ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ترجمة، فخري صالح، ط1، كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2012.
- 108- عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم ووقفهم من ثبات الشريعة وشمولها، دار المنارة للنشر، ط2، جدة، المملكة العربية السعودية، 1996.
- 109- عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوره، وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، منشأة المعارف ، الاسكندرية، دس.
- 110- عبد الجليل شلبي: الإسلام والمستشرقون، د ط، دار مطبوعات الشعب، مصر، 1977.
- 111- عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964.
- 112- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها- التبشير ، الاستشراق، الاستعمار- دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري ، ط8، دار القلم، دمشق، سوريا، 2000.
- 113- عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دط، دار الجيل بيروت، لبنان، د س.

-
- 114- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: افتراءات المشتريين على الإسلام عرض ونقد، ط1، مكتبة وهبة مصر، 1992.
- 115- عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، ط3، الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، قطر، 1992.
- 116- عبد القادر سيد عبد الرؤوف: دراسات في التبشير والاستشراق، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، مصر، د.س.
- 117- عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- 118- عبد الله بن عبد الوهبي: حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، ط1، مركز البحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2014.
- 119- عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1995.
- 120- عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008.
- 121- عبد المعبود مصطفى سالم: موقف مفكري المسلمين من المشتريين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1994.
- 122- عجيل جاسم التشمي: المشتريون ومصادر التشريع الإسلامي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984.
- 123- علي بهداد: الإستشراق في عصر التفكك الاستعماري، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2013.
- 124- علي حسن الخربوطلي: المشتريون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988.
- 125- علي محمد خريشة، محمد شريف الزبيق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط3، دار الاعتصام، المدينة المنورة، 1979.
- 126- عمر لطفي العالم: المشتريون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المشتريين، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991.
- 127- فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الأولى الإسلامية) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998.
- 128- فاطمة هدى نجا: المشتريون والمرأة المسلمة، د ط، دار الإيمان، 1991.
- فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 2012.
- 129- فؤاد زكريا: نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية دراسة في المنهج، د ط، هندواي للنشر، هاي ستريت وندسور، المملكة المتحدة، 2017.

-
- 130- قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط1، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، حلب، سوريا، 1983.
- 131- لخضر شايب: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، باتنة، الجزائر، 2001.
- 132- مازن مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، د ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995.
- 133- مازن مطبقاني: الاستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، د س.
- 134- محمد بن محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا، مكتبة السنة، القاهرة، عابدين، مصر، 1989.
- 135- محمد بهاد الدين: المستشرقون والحديث النبوي، ط1، دار النفائس، القاهرة، مصر، 1999.
- 136- محمد حسن زماني: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر، محمد نور الدين عبد المنعم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2010.
- 137- محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1997.
- 138- محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.س.
- 139- محمد عبد الله الشرقاوي: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، 2016.
- 140- محمد علي البار: العلمانية جذورها وأصولها، ط1، دار القلم، دمشق، 2008.
- 141- محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، أعدّه دكتورة إيمان سعيد جلال، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2004.
- 142- محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 2012.
- 143- محمد قدور تاج: الاستشراق ماهيته، فلسفته و مناهجه، ط1، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014.
- 144- محمد ياسين عربي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ط1، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المملكة المغربية، 1991.
- 145- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1997.

- 146- مصطفى الخالدي، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1953.
- 147- مصطفى عبد الغني: المستشرقون الجدد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2007.
- 148- معروف العيد وآخرون: نحن والغرب مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي، إعداد وتحرير، عامر بن زيد الوائلي، هاشم الميلاني، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، 2017.
- 149- منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان، 1997.
- 150- منصف بوزفور: المدرات الشرقية والاستشراق، موفم للنشر، الجزائر، 2014.
- 151- نذير حمدان: مستشرقون سياسيون-جامعيون-مجمعيون، ط1، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية، 1988.
- 152- هادي عبد النبي التميمي، حوراء عبد الناصر الصبيح: مشروع محمد أركون في نقد العقل الإسلامي، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 1، صيف 2014.

2- المعاجم والموسوعات:

- 153- إبراهيم أنس وآخرون: المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية للنشر - مكتبة الشروق الدولية، 2004.
- 154- الموسوعة العربية العالمية، ط2، المجلد1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999.
- 155- إبراهيم أنس وآخرون: المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية للنشر - مكتبة الشروق الدولية، 2004.
- 156- الموسوعة العربية العالمية، ط2، المجلد 10، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999.
- 157- الموسوعة العربية العالمية، ط2، المجلد 7، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999.
- 158- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار الملايين، ط3، بيروت لبنان، 1993.

3- المجالات

- 159- أحمد محبوب طه: نظرة المستشرقين للإصلاح والتجديد في الإسلام (دراسة نقدية)، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 16، 1429هـ/2008م.
- 160- إبراهيم السعافين: الاستشراق الموقف وردود الفعل، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات، العدد 4، الأردن، خريف 1994.

- 161- أشرف بدر: الايديولوجية الصهيونية والغرب رحلة التوظيف من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مجلة الاستغراب، العدد 6، السنة الثانية، شتاء 2017.
- 162- علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2000 / 09 / 03.
- 163- محمد بن سعيد السرحاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 22، العدد 70، 2007.
- 164- أحمد الحسين، صالح هاشم: الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقى، لندن، 1998.
- 165- مجلة عالم الكتب العدد الرابع المجلد 20، العدد 4، سوريا، محرم - صفر 1420هـ / مايو - يونيو 1999م.
- 166- محمد القاضي: فرانشيسكو غابرييلي ألمع المستشرقين الإيطاليين ، دار الفيصل الثقافية، العدد 314، الرياض، المملكة العربية السعودية، أكتوبر/ نوفمبر 2002.
- 167- حسين علي أحمد: وسائل الغزو الفكري الإستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 4، قسم الشريعة، كلية العلوم، جامعة الموصل، العراق، نيسان 2012.
- 168- جابر قميحة: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، السنة 10، العدد 116، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1412هـ، 1991م.
- 169- جميل حمداوي: الاستشراق والاستمزاغ والاستعراب والاستغراب (مقاربة مفاهيمية)، مجلة دراسات استشرافية، العدد 19، صيف 2019.
- 170- صلاح الدين حسين خضير: الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للأراضي المفتوحة (نقد وتحليل)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، (مجلة علمية محكمة)، المجلد 3، العدد 10، جامعة تكريت، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية، تشرين الثاني 2011م، ذو الحجة 1423هـ.
- 171- عبد الراضي: محمد عبد المحسن آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مجلة الفيصل، السنة 26، العدد 301، دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية، أكتوبر/ سبتمبر 2001.
- 172- علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2000 / 09 / 03.

4- المذكرات:

- 173- صالح محمد حسن الأشرف: الإستشراق مفهومه وآثاره، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2016.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان:
	بسملة
	شكر
	إهداء
أ - هـ	مقدمة عامة
الفصل الأول: الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق	
1	<u>تمهيد</u>
2	<u>المبحث الأول: ماهية الإستشراق والمستشرقين</u>
2	المطلب الأول: مفهوم الاستشراق لغة واصطلاحاً
3	المطلب الثاني: مفهوم الاستشراق لدى علماء الغرب
4	<u>المطلب الثالث: مفهوم الاستشراق عند العرب</u>
5	المطلب الرابع: تعريف المستشرق
6	المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق ومراحل تطوره
6	<u>المطلب الأول: نشأة الاستشراق</u>
8	<u>المطلب الثاني: مراحل تطوره</u>
13	<u>المبحث الثالث: دوافع الاستشراق وأسبابه</u>
13	<u>المطلب الأول : دوافع الاستشراق</u>
18	<u>المطلب الثاني: أسبابه والعوامل المؤدية إلى استفحال الظاهرة الاستشراقية</u>
20	<u>المبحث الرابع: أهداف الاستشراق، وسائله ومناهجه</u>
20	<u>المطلب الأول: أهداف الاستشراق</u>

24	المطلب الثاني: وسائل الاستشراق
27	المطلب الثالث: مناهج المستشرقين
30	خلاصة الفصل:
الفصل الثاني: أثر الاستشراق في الفكر العربي	
31	تمهيد: خطأ!
32	المبحث الأول: الاتجاه الفكري للمستشرقين وبعض من إنتاجهم خطأ!
32	المطلب الأول: الاتجاه الفكري للمستشرقين خطأ!
34	المطلب الثاني: بعض من أخطر إنتاجهم الفكري: خطأ!
36	المبحث الثاني: أبرز المستشرقين بين الإنصاف والتشويه خطأ!
36	المطلب الأول: أشهر المستشرقين المتعصبين خطأ!
38	المطلب الثاني: المستشرقون المنصفون خطأ!
40	المبحث الثالث: مواقف العلماء المسلمين ومفكري العرب من حركة الاستشراق وطروحه خطأ!
41	المطلب الأول: موقف الإعجاب والقبول خطأ!
47	المطلب الثاني: موقف الرفض والتشكيك خطأ!
54	المطلب الثالث: الاستشراق والموقف العربي المنصف خطأ!
57	خلاصة الفصل: خطأ!
الفصل الثالث: آثار الاستشراق	

58	تمهيد: خطأ! ١
59	المبحث الأول: إيجابيات الاستشراق خطأ! ١
59	المطلب الأول: الاهتمام بالتراث الإسلامي العربي.....
60	المطلب الثاني: وضع المنهج العلمي
61	المطلب الثالث: تأثير الإسلام في المستشرقين خطأ! ١
63	المبحث الثاني: آثار الدراسات الاستشراقية في الفكر العام العربي خطأ! ١
63	المطلب الأول: الآثار السياسية والدينية للاستشراق خطأ! ١
67	المطلب الثاني: الآثار العلمية والفكرية للاستشراق خطأ! ١
70	المطلب الثالث: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للفكر الإستشراقي في المجتمع المسلم خطأ
73	المبحث الثالث: طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي وسبل مواجهته ... خطأ! ١
73	المطلب الأول: طبيعة تأثير الاستشراق في الفكر العربي
75	المطلب الثاني: سبل المواجهة خطأ! ١
78	خلاصة الفصل: خطأ! ١
79	خاتمة
81	قائمة الملاحق
83	قائمة المصادر والمراجع
94	فهرس المحتويات

ملخص:

الإستشراق تيار فكري يتجه صوب الشرق لدراسة حضارته أديانه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب. وقام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة. ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية. وقد تلقى كثير من أبناء المسلمين العلوم الإسلامية على أيدي المستشرقين. ولم يتوقف الأمر عند هذا ، فقد استضافت الجامعات العربية والإسلامية عددا من هؤلاء للتدريس فيها كما حدث في الجامعة المصرية حين استضافت بعض المستشرقين لتدريس آداب اللغة العربية.

وتلقف بعض مفكري العربية وعلمائها أعمال المستشرقين بشغف وانبهار مثل طه حسين الذي تبني إحياء الفرعونية في مصر التي هي من صلب أهداف المستشرقين بإحيائهم الحضارات القديمة الآشورية والبربرية والفينيقية، للقضاء على روح الإسلام التوحيدية، و العشماوي وطه محمد ومحمود وغيرهم الذين ادّعوا عدم وجوب الصيام وتحريم التعدد. في حين أثر آخرون الموضوعية والإنصاف لجهود المستشرقين الضخمة أحيانا في موقف أركون ومحمد علي كرد و بنت الشاطي، وبالتشكيك والتّقد والرفض المتشدد أحيانا أخرى من طرف أنور عبد الملك ومحمد البهي وإدوارد سعيد.

Sommaire:

L'orientalisme est un courant de pensée qui se dirige vers l'Orient pour étudier sa civilisation, ses religions, sa culture, sa langue et sa littérature, à travers des idées dont la plupart sont fanatiques. Les orientalistes ont mené de nombreuses études sur l'islam, la langue arabe et les sociétés musulmanes. Et ils ont utilisé leurs antécédents culturels et leur formation à la recherche pour étudier la civilisation islamique et identifier ses secrets pour atteindre les objectifs coloniaux et missionnaires de l'Occident.

De nombreux enfants musulmans ont reçu la science islamique aux mains des orientalistes. La question ne s'arrêtait pas à cela: les universités arabes et islamiques en ont accueilli un certain nombre pour y enseigner, comme cela s'est passé à l'université égyptienne où elle a accueilli des orientalistes pour enseigner la littérature de la langue arabe.

Certains penseurs et érudits arabes se sont emparés des travaux des orientalistes avec passion et étonnement, comme Taha Hussein, qui a adopté le renouveau du pharaonisme en Egypte, qui est l'un des principaux objectifs des orientalistes pour faire revivre les anciennes civilisations assyrienne, berbère et phénicienne, pour éliminer l'esprit monothéiste de l'islam, Ashmawi a revendiqué, Taha Muhammad, le jeûne et la non-nécessité du pluralisme. .

Tandis que d'autres préféraient l'objectivité et l'équité aux grands efforts des orientalistes parfois dans la position d'Arkoun, Muhammad Ali Kurd et Bint al-Shati, et avec scepticisme, critique et rejet catégorique à d'autres moments de la part d'Anwar Abd al-Malik, Muhammad al-Bahi et Edward Said.